تفسير سورة الأنفال

وهى مدنية. آياتها سبعون وست آيات. كلماتها ألف كلمة وستمائة كلمة وإحدى وثلاثون كلمة. حروفها خمسة آلاف ومائتان وأربعة وتسعون حرفًا والله أعلم.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نصف الحزب ١٨

﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١﴾

قال البخارى [(١)]: قال ابن عباس: الأنفال الغنائم، حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا سعيد بن سليمان، أخبرنا هشيم أخبرنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس رضى الله عنهما: سورة الأنفال، قال: نزلت فى بدر. أما ما علقه عن ابن عباس فكذلك رواه على بن أبى طلحة عن ابن عباس أنه قال: الأنفال الغنائم، كانت لرسول الله ﷺ خالصة ليس لأحد منها شىء، وكذا قال مجاهد وعكرمة وعطاء والضحاك وقتادة وعطاء الخراسانى ومقاتل بن حيان وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد: إنها المغانم، وقال الكلبى، عن أبى صالح عن ابن عباس [(٢)] أنه قال: الأنفال المغانم، قال فيها لبيد:

إن تقوى ربنا خير نفل ... وبإذن الله ريثي وعجل

وقال ابن جرير [(٣)]: حدثنى يونس أخبرنا ابن وهب أخبرنى مالك بن أنس عن ابن شهاب عن القاسم بن محمد قال: سمعت رجلا يسأل ابن عباس عن الأنفال، فقال ابن عباس رضى الله عنهما: الفرس من النفل والسلب من النفل. ثم عاد لمسألته فقال ابن عباس ذلك أيضًا ثم قال الرجل: الأنفال التى قال الله فى كتابه ما هي؟ قال القاسم: فلم يزل يسأله حتى كاد يحرجه، فقال ابن عباس: أتدرون ما مثل هذا؟ مثل صبيغ الذى ضربه عمر بن الخطاب.

وقال عبد الرزاق [(٤)] **أخبرنا معمر عن الزهرى عن القاسم بن محمد قال:** قال ابن عباس: كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا سئل عن شىء قال: لا آمرك ولا أنهاك. ثم قال ابن عباس: والله ما بعث الله نبيه ﷺ إلا زاجرًا آمرًا محلًا محرمًا. قال القاسم: فسلط على ابن عباس رجل يسأله عن الأنفال فقال ابن عباس: كان الرجل يُنَفَّل فرس الرجل وسلاحه، فأعاد عليه الرجل فقال له مثل ذلك، ثم عاد عليه حتى أغضبه، فقال ابن عباس: أتدرون ما مثل هذا؟ مثل صبيغ الذى ضربه عمر بن الخطاب حتى سالت الدماء على عقبيه أو على رجليه، فقال الرجل: أما أنت فقد انتقم الله لعمر منك. وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس، أنه فسر النفل بما ينفله الإمام لبعض الأشخاص من سلب أو نحوه بعد قسم أصل المغنم وهو المتبادر إلى فهم كثير من الفقهاء من لفظ النفل، والله أعلم.

---

(١) البخاري (٤٦٤٥).
(٢) إسناده ضعيف: فيه الكلبي وهو محمد بن السائب كذاب ساقط. انظر أحوال الرجال (٢٧٣٧٢).
(٣) **صحيح**: ابن جرير في تفسيره (٩/ ١٧٠)، وكذلك أخرجه مالك في موطئه (٩٧٤).
(٤) **صحيح**: تفسير عبد الرزاق (١/ ٢٣١).

وقال ابن أبى نجيح [١] **عن مجاهد**: إنهم سألوا رسول الله ﷺ عن الخمس بعد الأربعة من الأخماس، فنزلت ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ وقال ابن مسعود ومسروق: لا نفل يوم الزحف، إنما النفل قبل التقاء الصفوف، رواه ابن أبى حاتم عنهما، وقال ابن المبارك وغير واحد عن عبد الملك بن أبى سليمان عن عطاء بن أبى رباح فى الآية ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ قال يسألونك فيما شذ من المشركين إلى المسلمين فى غير قتال، من دابة أو عبد أو أمة أو متاع فهو نفل للنبى ﷺ يصنع به ما يشاء، وهذا يقتضى أنه فسر الأنفال بالفىء وهو ما أخذ من الكفار من غير قتال. قال ابن جرير: وقال آخرون: هى أنفال السرايا حدثنى الحارث حدثنا عبد العزيز حدثنا على بن صالح بن حيى، قال بلغنى فى قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ قال السرايا، ويعنى هذا ما ينفله الإمام لبعض السرايا زيادة على قسمهم مع بقية الجيش. وقد صرح بذلك الشعبى، واختار ابن جرير أنها الزيادات على القسم، ويشهد لذلك ما ورد فى سبب نزول الآية وهو ما رواه الإمام أحمد، [٢] حيث قال: حدثنا أبو معاوية حدثنا أبو إسحاق الشيبانى عن محمد بن عبيد الله الثقفى عن سعد بن أبى وقاص قال: لما كان يوم بدر وقتل أخى عمير وقتلت سعيد بن العاص وأخذت سيفه، وكان يسمى ذا الكتيفة، فأتيت به النبى ﷺ فقال: «اذهب فاطرحه فى القبض» قال فرجعت وبى مالا يعلمه إلا الله، من قتل أخى وأخذ سلبى، قال فما جاوزت إلا يسيرًا حتى نزلت سورة الأنفال، فقال لى رسول الله ﷺ «اذهب فخذ سيفك».

وقال الإمام أحمد أيضًا: [٣] حدثنا أسود بن عامر، أخبرنا أبو بكر عن عاصم بن أبى النجود عن مصعب بن سعد عن سعد بن مالك، قال: قلت يا رسول الله قد شفانى الله اليوم من المشركين، فهب لى هذا السيف، فقال: «إن هذا السيف لا لك ولا لى، ضعه» قال: فوضعته، ثم رجعت فقلت: عسى أن يعطى هذا السيف اليوم من لا يبلى بلائى، قال: فإذا رجل يدعونى من ورائى قال: قلت قد أنزل الله فى شيئًا؟ قال: كنت سألتنى السيف وليس هو لى، وإنه قد وهب لى، فهو لك. قال: وأنزل الله هذه الآية ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾. ورواه أبو داود والترمذى والنسائى [٤] من طرق عن أبى بكر بن عياش به.

وقال الترمذى: حسن صحيح، وهكذا رواه أبو داود الطيالسى، [٥] أخبرنا شعبة أخبرنا سماك بن حرب قال سمعت مصعب بن سعد يحدث عن سعد، قال: نزلت فىَّ أربع آيات، أصبت سيفًا يوم بدر فأتيت النبى ﷺ فقلت نفلنيه، فقال «ضعه من حيث أخذته» مرتين، ثم عاودته فقال النبى ﷺ «ضعه من حيث أخذته» فنزلت هذه الآية ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ وتمام الحديث، فى نزول ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾[العنكبوت: ٨] وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾[المائدة: ٩٠] وآية الوصية. وقد رواه مسلم فى صحيحه [٦] من حديث شعبة به، وقال محمد بن إسحاق: [٧] حدثنى عبد الله بن أبى بكر عن بعض بنى ساعدة قال: سمعت أبا أسيد مالك بن ربيعة يقول: أصبت سيف ابن عائذ يوم بدر، وكان السيف

(١) مرسل: رواه ابن جرير في تفسيره (٩/ ١٧٠).
(٢) صحيح: المسند (١٥٥٦). (٣) صحيح: المسند (١٥٣٨).
(٤) صحيح: أبو داود (٢٧٤٠)، الترمذي (٣٠٧٩)، النسائي في الكبرى (٦/ ٣٤٨)، برقم (١١١٩٦).
(٥) صحيح: مسند الطيالسي (١/ ٢٨) برقم (٢٠٨).
(٦) مسلم برقم (١٧٤٨). (٧) رواه ابن جرير في تفسيره (٩/ ١٧٣).

يدعى بالمرزبان، فلما أمر رسول الله ﷺ الناس أن يردوا ما فى أيديهم من النفل، أقبلت به فألقيته فى النفل، وكان رسول الله ﷺ لا يمنع شيئًا يسأله، فرآه الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى، فسأله رسول الله ﷺ فأعطاه إياه، ورواه ابن جرير من وجه آخر [١].

(سبب آخر فى نزول الآية): وقال الإمام أحمد [٢]: حدثنا محمد بن سلمة عن ابن إسحاق عن عبد الرحمن عن سليمان بن موسى عن مكحول عن أبى أمامة قال: سألت عبادة عن الأنفال فقال: فينا أصحاب بدر، نزلت حين اختلفنا فى النفل وساءت فيه أخلاقنا فانتزعه الله من أيدينا وجعله إلى رسول الله ﷺ فقسمه رسول الله ﷺ بين المسلمين، عن بواء يقول: عن سواء. وقال الإمام أحمد أيضًا [٣]: حدثنا معاوية بن عمرو أخبرنا أبو إسحاق عن عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبى ربيعة، عن سليمان بن موسى عن أبى سلام عن أبى أمامة عن عبادة بن الصامت، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ فشهدت معه بدرًا، فالتقى الناس، فهزم الله تعالى العدو، فانطلقت طائفة فى آثارهم يهزمون ويقتلون، وأكبَّت طائفة على العسكر يحوونه ويجمعونه، وأحدقت طائفة برسول الله ﷺ لا يصيب العدو منه غرة، حتى إذا كان الليل وفاء الناس بعضهم إلى بعض، قال الذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها فليس لأحد فيها نصيب، وقال الذين خرجوا فى طلب العدو: لستم بأحق به منا، نحن منعنا عنها العدو وهزمناهم، وقال الذين أحدقوا برسول الله ﷺ: خفنا أن يصيب العدو منه غرة فاشتغلنا به، فنزلت ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ فقسمها رسول الله ﷺ بين المسلمين وكان رسول الله ﷺ إذا أغار فى أرض العدو نفل الربع، فإذا أقبل - وكلُّ الناس - راجعًا نفل الثلث، وكان يكره الأنفال، ويقول: «ليرد قوى المؤمنين على ضعيفهم» ورواه الترمذى وابن ماجه [٤] من حديث سفيان الثورى عن عبد الرحمن بن الحارث به نحوه.

وقال الترمذى: هذا حديث صحيح، ورواه ابن حبان فى صحيحه والحاكم فى مستدركه [٥]، من حديث عبد الرحمن بن الحارث، وقال الحاكم: صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه، وروى أبو داود والنسائى وابن جرير وابن مردويه واللفظ له، وابن حبان والحاكم [٦] من طرق عن داود بن أبى هند عن عكرمة عن ابن عباس، قال: لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ «من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا» فتسارع فى ذلك شبان الرجال وبقى الشيوخ تحت الرايات، فلما كانت المغانم جاؤوا يطلبون الذى جعل لهم، فقال الشيوخ: لا تستأثروا علينا فإنا كنا ردءًا لكم لو انكشفتم لفئتم إلينا. فتنازعوا؛ فأنزل الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

---

(١) ابن جرير في تفسيره (٩/ ١٧٤) من طريق يحيى بن عمران عن جده عثمان.
(٢) صحيح: المسند (٢٢٨٥٢).
(٣) صحيح: المسند (٢٢٨٦٧) انظر مجمع الزوائد (٧/ ٢٦).
(٤) صحيح: الترمذي (١٥٦١)، ابن ماجه (٢٨٥٢).
(٥) صحيح: ابن حبان (١١/ ١٩٣) برقم (٤٨٥٥)، الحاكم (٢/ ١٣٦).
(٦) صحيح: أبو داود (٧٢٧٣٧)، النسائي في الكبرى (٦/ ٣٤٩)، برقم (١١١٩٧)، وابن جرير في تفسيره (٩/ ١٧٢)، ابن حبان في صحيحه (١١/ ٤٩٠)، برقم (٥٠٩٣)، الحاكم في المستدرك (٢/ ٤١) برقم (٢٨٧٦).

وقال الثوري [١] عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، قال: لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ «من قتل قتيلا فله كذا وكذا، ومن أتى بأسير فله كذا وكذا». فجاء أبو اليسر بأسيرين فقال: يا رسول الله وعدتنا، فقام سعد بن عبادة فقال: يا رسول الله، إن أعطيت هؤلاء لم يبق لأصحابك شيء، وإنه لم يمنعنا من هذا زهادة في الأجر، ولا جبن عن العدو، وإنما قمنا هذا المقام محافظة عليك نخاف أن يأتوك من ورائك، فتشاجروا ونزل القرآن ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾، قال ونزل القرآن ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٤١] إلى آخر الآية، وقال الإمام أبو عبيد الله القاسم بن سلام، رحمه الله، في كتاب «الأموال الشرعية وبيان جهاتها ومصارفها»، أما الأنفال فهي المغانم وكل نيل ناله المسلمون من أموال أهل الحرب، فكانت الأنفال الأولى لرسول الله ﷺ، يقول الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾، فقسمها يوم بدر على ما أراه الله من غير أن يخمسها على ما ذكرناه في حديث سعد، ثم نزلت بعد ذلك آية الخمس فنسخت الأولى، قلت هكذا روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس سواء، وبه قال مجاهد وعكرمة والسدي.

وقال ابن زيد: ليست منسوخة بل هي محكمة، قال أبو عبيد وفي ذلك آثار، والأنفال أصلها جماع الغنائم، إلا أن الخمس منها مخصوص لأهله على ما نزل به الكتاب وجرت به السنة، ومعنى الأنفال في كلام العرب: كل إحسان فعله فاعل تفضلاً، من غير أن يجب ذلك عليه، فذلك النفل الذي أحله الله للمؤمنين من أموال عدوهم، وإنما هو شيء خصهم الله به تطولا منه عليهم بعد أن كانت الغنائم محرمة على الأمم قبلهم، فنفلها الله تعالى هذه الأمة، فهذا أصل النفل، قلت: شاهد هذا ما في الصحيحين [٢] عن جابر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي» - فذكر الحديث إلى أن قال: «وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي». وذكر تمام الحديث، ثم قال أبو عبيد: ولهذا سمي ما جعل الإمام للمقاتلة نفلاً، وهو تفضيله بعض الجيش على بعض بشيء سوى سهامهم يفعل ذلك بهم على قدر الغناء عن الإسلام والنكاية في العدو، وفي النفل الذي ينفله الإمام سنن أربع لكل واحدة منهن موضع غير موضع الأخرى:

(فإحداهن): في النفل لا خمس فيه، وذلك السلب.

(والثانية): في النفل الذي يكون من الغنيمة بعد إخراج الخمس وهو أن يوجه الإمام السرايا في أرض الحرب، فتأتي بالغنائم، فيكون للسرية مما جاءت به الربع أو الثلث بعد الخمس.

(والثالثة): في النفل من الخمس نفسه، وهو أن تحاز الغنيمة كلها، ثم تخمس فإذا صار الخمس في يدي الإمام، نفل منه على قدر ما يرى.

(والرابعة): في النفل في جملة الغنيمة قبل أن يخمس منها شيء، وهو أن يعطى الأدلاء ورعاة الماشية والسواق لها. وفي كل ذلك اختلاف.

قال الربيع: قال الشافعي: الأنفال أن لا يخرج من رأس الغنيمة قبل الخمس شيء غير السلب. قال أبو عبيد: والوجه الثاني من النفل هو شيء زيدوه غير الذي كان لهم وذلك من خمس النبي ﷺ، فإن له

(١) ضعيف: أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٩٤٨٣)، عن الثوري وأخرجه أبو داود (٢٧٣٨) من طريق أخرى عن ابن عباس، وسنده صحيح. (٢) البخاري (٣٣٥)، مسلم (٥٢١).

خمس الخمس من كل غنيمة، فينبغي للإمام أن يجتهد، فإذا كثر العدو واشتدت شوكتهم وقل من بإزائه من المسلمين، نفل منه اتباعًا لسنة رسول الله ﷺ وإذا لم يكن ذلك لم ينفل

(والوجه الثالث): من النفل إذا بعث الإمام سرية أو جيشًا فقال لهم قبل اللقاء من غنم شيئًا، فهو له، بعد الخمس، فذلك لهم على ما شرط الإمام، لأنهم على ذلك غزوا وبه رضوا، انتهى كلامه. وفيما تقدم من كلامه وهو قوله: إن غنائم بدر لم تخمس، نظر. ويرد عليه حديث علي بن أبي طالب، في شارفيه اللذين حصلا له من الخمس يوم بدر، وقد بينت ذلك في كتاب السيرة بيانًا شافيًا [1]، ولله الحمد والمنة. وقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ أي اتقوا الله في أموركم وأصلحوا فيما بينكم ولا تظالموا ولا تخاصموا ولا تشاجروا فما آتاكم الله من الهدى والعلم خير مما تختصمون بسببه ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي في قسمه بينكم على ما أراده الله، فإنه إنما يقسمه كما أمره الله من العدل والإنصاف، وقال ابن عباس: هذا تحريج من الله على المؤمنين أن يتقوا ويصلحوا ذات بينهم وكذا قال مجاهد، وقال السدي ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ أي لا تستبوا.

ولنذكر ههنا حديثًا أورده الحافظ أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي رحمه الله، في مسنده فإنه قال: حدثنا مجاهد بن موسى، حدثنا عبد الله بن بكر، حدثنا عباد بن شيبة الحبطي عن سعيد بن أنس عن أنس رضي الله عنه قال: بينا رسول الله ﷺ جالس إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه، فقال عمر: ما أضحكك يا رسول الله؟ بأبي أنت وأمي؟ فقال: «رجلان جثيا من أمتي بين يدي رب العزة تبارك وتعالى، فقال أحدهما: يا رب خذ لي مظلمتي من أخي. قال الله تعالى، أعط أخاك مظلمته، قال: يا رب لم يبق من حسناتي شيء قال: رب فليحمل عني من أوزاري». قال: ففاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء ثم قال «إن ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس إلى من يتحمل عنهم من أوزارهم، فقال الله تعالى للطالب: ارفع بصرك فانظر في الجنان فرفع رأسه فقال: يا رب أرى مدائن من فضة وقصورًا من ذهب مكللة باللؤلؤ، لأي نبي هذا؟ لأي صديق هذا؟ لأي شهيد هذا؟ قال: هذا لمن أعطى الثمن، قال رب ومن يملك ذلك؟ قال أنت تملكه، قال: ماذا يا رب؟ قال: تعفو عن أخيك، قال: يا رب، فإني قد عفوت عنه، قال الله تعالى: خذ بيد أخيك، فادخلا الجنة». ثم قال رسول الله ﷺ «فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم، فإن الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة» [2]

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝﴾

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾. قال: المنافقون لا يدخل قلوبهم شيء من ذكر الله عند أداء فرائضه. ولا يؤمنون بشيء من آيات الله

(١) السيرة لابن كثير (٢/ ٤٦٦).

(٢) ضعيف جدًا: أخرجه الحاكم في مستدركه (٤/ ٦٢٠)، برقم (٨٧١٨) من طريق عبد الله بن بكر عن عباد بن شيبة الحبطي، في إسناده عباد بن شيبة الحبطي ذكره ابن حبان في المجروحين (٢/ ١٧١)، وقال: منكر الحديث جدًا، على قلة روايته، لا يجوز الاحتجاج به، لما انفرد به من المناكير. ا هـ.

ولا يتوكلون ولا يصلون إذا غابوا ولا يؤدون زكاة أموالهم، فأخبر الله تعالى أنهم ليسوا بمؤمنين، ثم وصف الله المؤمنين فقال ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فأدوا فرائضه ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا﴾ يقول: تصديقًا ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ يقول: لا يرجون غيره. وقال مجاهد ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فرقت أي فزعت وخافت، وكذا قال السدى وغير واحد، وهذه صفة المؤمن حق المؤمن الذى إذا ذكر الله وجل قلبه أى خاف منه، ففعل أوامره وترك زواجره، كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، وكقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١] ولهذا قال سفيان الثورى: سمعت السدى يقول فى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾. قال: هو الرجل يريد أن يظلم أو قال: يهم بمعصية فيقال له: اتق الله فيجل قلبه، وقال الثورى أيضًا عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن شهر بن حوشب عن أمّ الدرداء فى قوله ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ قالت: الوجل فى القلب كإحراق السعفة، أما تجد له قشعريرة؟ قال: بلى. قالت: إذا وجدت ذلك فادع الله عند ذلك، فإن الدعاء يذهب ذلك، وقوله ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا﴾، كقوله ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِۦٓ إِيمَـٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤].

وقد استدل البخارى وغيره من الأئمة بهذه الآية وأشباهها على زيادة الإيمان وتفاضله فى القلوب، كما هو مذهب جمهور الأمة، بل قد حكى الإجماع عليه غير واحد من الأئمة كالشافعى وأحمد بن حنبل وأبى عبيد، كما بينا ذلك مستقصى فى أول شرح البخارى، ولله الحمد والمنة، ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أى لا يرجون سواه ولا يقصدون إلا إياه ولا يلوذون إلا بجنابه، ولا يطلبون الحوائج إلا منه، ولا يرغبون إلا إليه، ويعلمون أن ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه المتصرف فى الملك، وحده لا شريك له ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب، ولهذا قال سعيد بن جبير: التوكل على الله جماع الإيمان.

وقوله ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ ينبه تعالى بذلك على أعمالهم بعدما ذكر اعتقادهم وهذه الأعمال تشمل أنواع الخير كلها، وهو إقامة الصلاة وهو حق الله تعالى، وقال قتادة: إقامة الصلاة: المحافظة على مواقيتها ووضوئها وركوعها وسجودها.

وقال مقاتل بن حيان: إقامتها المحافظة على مواقيتها وإسباغ الطهور فيها وتمام ركوعها وسجودها وتلاوة القرآن فيها والتشهد والصلاة على النبى ﷺ، هذا إقامتها، والإنفاق مما رزقهم الله يشمل إخراج الزكاة وسائر الحقوق للعباد من واجب ومستحب. والخلق كلهم عيال الله فأحبهم إلى الله أنفعهم لخلقه. قال قتادة فى قوله ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾، فأنفقوا مما رزقكم الله فإنما هذه الأموال عوار وودائع عندك يا ابن آدم أوشكت أن تفارقها.

وقوله ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾، أى المتصفون بهذه الصفات هم المؤمنون حق الإيمان. وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى [1]: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمى، حدثنا أبو كريب حدثنا زيد بن

(١) ضعيف: المعجم الكبير (٣/ ٦٦٦)، برقم (٣٣٦٧). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٥٧): رواه الطبراني في

الحباب، حدثنا ابن لهيعة عن خالد بن يزيد السكسكى عن سعيد بن أبى هلال عن محمد بن أبى الجهم، عن الحارث بن مالك الأنصارى، أنه مر برسول الله ﷺ فقال له: «كيف أصبحت يا حارث؟» قال: أصبحت مؤمنًا حقًّا، قال: «انظر ماذا تقول، فإن لكل شىء حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟» فقال: عزفت نفسى عن الدنيا فأسهرت ليلى وأظمأت نهارى، وكأنى أنظر إلى عرش ربى بارزًا، وكأنى أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وكأنى أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها. فقال: «يا حارث عرفت فالزم» ثلاثًا.

وقال عمرو بن مرة فى قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ إنما أنزل القرآن بلسان العرب كقولك: فلان سيد حقًّا، وفى القوم سادة. وفلان تاجر حقًّا، وفى القوم تجار. وفلان شاعر حقًّا، وفى القوم شعراء. وقوله ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أى منازل ومقامات ودرجات فى الجنات كما قال تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٣] ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ أى يغفر لهم السيئات ويشكر لهم الحسنات. وقال الضحاك فى قوله ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أهل الجنة بعضهم فوق بعض، فيرى الذى هو فوق فضله على الذى هو أسفل منه، ولا يرى الذى هو أسفل منه أنه فضل عليه أحد، ولهذا جاء فى الصحيحين (١) أن رسول الله ﷺ قال «إن أهل عليين ليراهم من أسفل منهم كما ترون الكوكب الغابر فى أفق من آفاق السماء».

قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا ينالها غيرهم فقال: «بلى والذى نفسى بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين». وفى الحديث الآخر الذى رواه الإمام أحمد وأهل السنن (٢) من حديث عطية عن أبى سعيد قال: قال رسول الله ﷺ «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الدرجات العلى كما ترون الكوكب الغابر فى أفق السماء وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما».

﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ۝ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ۝ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ۝﴾

قال الإمام أبو جعفر الطبرى: اختلف المفسرون فى السبب الجالب لهذه (الكاف) فى قوله ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾، فقال بعضهم شُبه به فى الصلاح للمؤمنين اتقاؤهم ربهم وإصلاحهم ذات بينهم وطاعتهم لله ورسوله، ثم روى عن عكرمة نحو هذا، ومعنى هذا أن الله تعالى يقول: كما أنكم لما اختلفتم فى المغانم وتشاححتم فيها فانتزعها الله منكم وجعلها إلى قَسْمه، وقَسْم رسوله ﷺ فقسمها على العدل والتسوية، فكان هذا هو المصلحة التامة لكم، وكذلك لما كرهتم الخروج إلى الأعداء من قتال ذات الشوكة، وهم النفير الذين خرجوا لنصر دينهم وإحراز عيرهم، فكان عاقبة كراهتكم للقتال

الكبير وفيه ابن لهيعة وفيه من يحتاج إلى الكشف عنه. وانظر الإصابة.

(١) البخاري (٣٢٥٦)، مسلم (٢٨٣١) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٢) ضعيف الإسناد: أحمد برقم (١٠٨٢٩)، أبو داود (٣٩٨٧)، الترمذي (٣٦٥٨)، ابن ماجه (٩٦). في إسناده عطية العوفي، وهو ضعيف الحديث.

بأن قدره لكم وجمع به بينكم وبين عدوكم على غير ميعاد رشدًا وهدى، ونصرًا وفتحًا، كما قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ٢١٦] .

قال ابن جرير وقال آخرون معنى ذلك ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ﴾، على كره من فريق من المؤمنين كذلك هم كارهون للقتال فهم يجادلونك فيه بعدما تبين لهم. ثم روى نحوه عن مجاهد أنه قال ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾ قال كذلك يجادلونك فى الحق، وقال السدى: أنزل الله فى خروجه إلى بدر ومجادلتهم إياه، فقال ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ لطلب المشركين ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾ .

وقال بعضهم يسألونك عن الأنفال مجادلة كما جادلوك يوم بدر فقالوا أخرجتنا للعير ولم تعلمنا قتالا فنستعد له. قلت: رسول الله ﷺ إنما خرج من المدينة طالبًا لعير أبى سفيان التى بلغه خبرها أنها صادرة من الشام، فيها أموال جزيلة لقريش فاستنهض رسول الله ﷺ المسلمين من خف منهم فخرج فى ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، وطلب نحو الساحل من على طريق بدر، وعلم أبو سفيان بخروج رسول الله ﷺ فى طلبه، فبعث ضمضم بن عمرو نذيرًا إلى مكة، فنهضوا فى قريب من ألف مُقَنَّع ما بين التسعمائة إلى الألف وتيامن أبو سفيان بالعير إلى سيف البحر فنجا وجاء النفير فوردوا ماء بدر، وجمع الله بين المسلمين والكافرين على غير ميعاد لما يريد الله تعالى من إعلاء كلمة المسلمين ونصرهم على عدوهم والتفرقة بين الحق والباطل كما سيأتى بيانه، والغرض أن رسول الله ﷺ لما بلغه خروج النفير أوحى الله إليه يعده إحدى الطائفتين إما العير وإما النفير، ورغب كثير من المسلمين إلى العير لأنه كسب بلا قتال، كما قال تعالى: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ .

قال الحافظ أبو بكر بن مردويه فى تفسيره[1] : حدثنا سليمان بن أحمد الطبرانى حدثنا بكر بن سهل، حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا ابن لهيعة، عن يزيد بن أبى حبيب عن أسلم بن أبى عمران، حدثه أنه سمع أبا أيوب الأنصارى يقول: قال رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة «إنى أخبرت عن عير أبى سفيان أنها مقبلة فهل لكم أن نخرج قبل هذه العير لعل الله أن يغنمناها؟» فقلنا نعم، فخرج وخرجنا فلما سرنا يوما أو يومين، قال لنا «ما ترون فى قتال القوم فإنهم قد أخبروا بمخرجكم؟» فقلنا: لا والله ما لنا طاقة بقتال العدو ولكنا أردنا العير، ثم قال «ما ترون فى قتال القوم؟» فقلنا مثل ذلك فقال المقداد بن عمرو: إذًا لا نقول لك يا رسول الله كما قال قوم موسى لموسى ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾[المائدة: ٢٤] قال فتمنينا - معشر الأنصار - أن لو قلنا كما قال المقداد أحب إلينا من أن يكون لنا مال عظيم، قال فأنزل الله على رسوله ﷺ ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥﴾ وذكر تمام الحديث، ورواه ابن أبى حاتم من حديث ابن لهيعة بنحوه، وروى ابن مردويه أيضًا من حديث محمد بن عمرو بن علقمة بن أبى وقاص الليثى، عن أبيه عن جده قال خرج رسول الله ﷺ إلى بدر حتى إذا كان بالروحاء خطب الناس فقال «كيف ترون؟» فقال أبو بكر

(١) حسن: رواه الطبراني (٤/ ١٧٤) برقم (٤٠٥٦)، انظر «مجمع الزوائد» (٦/ ٧٤).

رضي الله تعالى عنه: يا رسول الله بلغنا أنهم بمكان كذا وكذا.

قال: ثم خطب الناس فقال «كيف ترون؟» فقال عمر مثل قول أبي بكر، ثم خطب الناس فقال: «كيف ترون؟» فقال سعد بن معاذ يا رسول الله إيانا تريد؟» فو الذي أكرمك وأنزل عليك الكتاب ما سلكتها قط ولا لي بها علم، ولئن سرت حتى تأتي برك الغماد من ذي يمن لنسيرن معك، ولا نكون كالذين قالوا لموسى ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤] ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، ولعلك أن تكون خرجت لأمر وأحدث الله إليك غيره فانظر الذي أحدث الله إليك فامض له، فَصِلْ حبال من شئت، واقطع حبال من شئت، وعَادِ من شئت، وسالم من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، فنزل القرآن على قول سعد ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ۝﴾ الآيات، وقال العوفي عن ابن عباس لما شاور النبي ﷺ في لقاء العدو، وقال له سعد بن عبادة ما قال وذلك يوم بدر أمر الناس فعبئوا للقتال وأمرهم بالشوكة، فكره ذلك أهل الإيمان فأنزل الله ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ۝ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝﴾.

وقال مجاهد يجادلونك في الحق: في القتال، وقال محمد بن إسحاق ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ﴾ أي كراهية للقاء المشركين، وإنكارًا لمسير قريش حين ذكروا لهم، وقال السدي: ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾ أي بعد ما تبين لهم أنك لا تفعل إلا ما أمرك الله به. قال ابن جرير وقال آخرون عني بذلك المشركين، حدثنا يونس أنبأنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله تعالى: ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ قال هؤلاء المشركون جادلوه في الحق ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ﴾ حين يدعون إلى الإسلام ﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾. قال وليس هذا من صفة الآخرين، هذه صفة مبتدأة لأهل الكفر.

ثم قال ابن جرير: ولا معنى لما قاله، لأن الذي قبل قوله ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ﴾ خبر عن أهل الإيمان والذي يتلوه خبر عنهم. والصواب قول ابن عباس وابن إسحاق: إنه خبر عن المؤمنين، وهذا الذي نصره ابن جرير هو الحق وهو الذي يدل عليه سياق الكلام، والله أعلم. وقال الإمام أحمد رحمه الله [1]: حدثنا يحيى بن بكير وعبد الرزاق قالا: حدثنا إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال: قيل لرسول الله ﷺ حين فرغ من بدر: عليك بالعير ليس دونها شيء، فناداه العباس بن عبد المطلب، قال عبد الرزاق وهو أسير في وثاقه ثم اتفقا: أنه لا يصلح لك، قال ولم؟ قال لأن الله عز وجل إنما وعدك إحدى الطائفتين، وقد أعطاك الله ما وعدك، إسناد جيد ولم يخرجوه، ومعنى قوله تعالى: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ أي يحبون أن الطائفة التي لا حد لها ولا منعة ولا قتال تكون لهم وهي العير، ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ أي هو يريد أن يجمع بينكم وبين الطائفة التي لها الشوكة والقتال ليظفركم بهم وينصركم عليهم، ويظهر دينه ويرفع كلمة الإسلام ويجعله غالبًا على الأديان، وهو أعلم بعواقب الأمور، وهو الذي يدبركم بحسن تدبيره، وإن كان العباد يحبون خلاف ذلك فيما يظهر لهم كما قال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا

(١) صحيح الإسناد: أحمد برقم (٢٠٢٣)، (٢٨٦٨).

شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦] .

وقال محمد بن إسحاق رحمه الله: حدثنى محمد بن مسلم الزهرى، وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر ويزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا عن عبد الله بن عباس، كل قد حدثنى بعض هذا الحديث فاجتمع حديثهم فيما سقت من حديث بدر، قالوا لما سمع رسول الله ﷺ بأبى سفيان مقبلا من الشام ندب المسلمين إليهم، وقال: «هذه عير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعل الله أى ينفلكموها» فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى حربًا، وكان أبو سفيان قد استنفر حين دنا من الحجاز يتجسس الأخبار، ويسأل من لقى من الركبان تخوفًا على أمر الناس، حتى أصاب خبرًا من بعض الركبان أن محمدًا قد استنفر أصحابه لك ولعيرك، فحذر عند ذلك فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفارى فبعثه إلى أهل مكة وأمره أن يأتى قريشًا فيستنفرهم إلى أموالهم ويخبرهم أن محمدًا قد عرض لها فى أصحابه، فخرج ضمضم بن عمرو سريعًا إلى مكة، وخرج رسول الله ﷺ فى أصحابه، حتى بلغ واديًا يقال له (ذفران)، فخرج منه حتى إذا كان ببعضه نزل وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم، فاستشار رسول الله ﷺ الناس وأخبرهم عن قريش، فقام أبو بكر رضى الله عنه فقال، فأحسن.

ثم قام عمر رضى الله عنه فقال، فأحسن. ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله امض لما أمرك الله به، فنحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فو الذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد، يعنى مدينة الحبشة لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم خيرًا ودعا له بخير، ثم قال رسول الله ﷺ «أشيروا على أيها الناس» وإنما يريد الأنصار، وذلك أنهم كانوا عدد الناس، وذلك أنهم حين بايعوه بالعقبة، قالوا: يا رسول الله إنا برآء من زمامك حتى تصل إلى دارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت فى زمامنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا، فكان رسول الله ﷺ يتخوف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نصرته إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم، فلما قال رسول الله ﷺ ذلك قال له سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: «أجل» فقال: قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فوالذى بعثك بالحق إن استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما يتخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدًا، إنا لصُبُرٌ عند الحرب صدق عند اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله، فسر رسول الله ﷺ بقول سعد ونشطه ذلك، ثم قال «سيروا على بركة الله وأبشروا فإن الله قد وعدنى إحدى الطائفتين، والله لكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم»[1] وروى العوفى عن ابن عباس نحو هذا، وكذلك قال السدى وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد من علماء السلف والخلف، اختصرنا أقوالهم اكتفاء بسياق محمد بن إسحاق.

(١) **حسن:** رواه ابن جرير في تفسيره (٩/ ١٨٥)، من طريق محمد بن إسحاق به.

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

قال الإمام أحمد [١] : حدثنا أبو نوح قراد، حدثنا عكرمة بن عمار حدثنا سماك الحنفى أبو زُمَيل، حدثنى ابن عباس حدثنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: لما كان يوم بدر، نظر النبى ﷺ إلى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيف، ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة، فاستقبل النبى ﷺ القبلة ثم مد يديه وعليه رداؤه وإزاره، ثم قال «اللهم أين ما وعدتني اللهم أنجز لى ما وعدتنى اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تعبد فى الأرض أبدًا» قال فما زال يستغيث ربه ويدعوه حتى سقط فأتاه أبو بكر فأخذ ردّاءه - ألبسه - فرداه ثم التزمه من ورائه ثم قال: يانبى الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله عز وجل ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ فلما كان يومئذ التقوا، فهزم الله المشركين فقتل منهم سبعون رجلا وأسر منهم سبعون رجلًا، واستشار رسول الله ﷺ أبا بكر وعمر وعليًا فقال أبو بكر: يا رسول الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان وإنى أرى أن تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذناه منهم قوة لنا على الكفار، وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضدًا فقال رسول الله ﷺ «ما ترى يا ابن الخطاب؟» قال: قلت والله ما أرى ما رأى أبو بكر ولكنى أرى أن تمكنني من فلان - قريب لعمر - فأضرب عنقه وتمكن عليًا من عقيل فيضرب عنقه وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله أن ليس فى قلوبنا هوادة للمشركين، هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم. فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت وأخذ منهم الفداء فلما كان من الغد قال عمر فغدوت إلى النبى ﷺ وأبى بكر وهما يبكيان فقلت: يا رسول الله ما يبكيك أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما.

قال النبى ﷺ «الذى عرض على أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض علىَّ عذابكم أدنى من هذه الشجرة» لشجرة قريبة من النبى ﷺ وأنزل الله عز وجل ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ من الفداء إلى قوله: ﴿لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾ [الأنفال: ٦٧-٦٨] ثم أحل لهم الغنائم. فلما كان يوم أحد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء فقتل منهم سبعون وفر أصحاب النبى ﷺ عن النبى ﷺ وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه وسال الدم على وجهه فأنزل الله ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٥] بأخذكم الفداء، ورواه مسلم وأبو داود والترمذى وابن جرير وابن مردويه [٢] من طرق عن عكرمة بن عمار به وصححه على بن المدينى والترمذى وقالا لا يعرف إلا من حديث عكرمة بن عمار اليمانى وهكذا روى على بن أبى طلحة والعوفى عن ابن عباس أن هذه الآية الكريمة قوله ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ فى دعاء النبى ﷺ، وكذا قال يزيد بن تبيع والسدى وابن جريج، وقال أبو بكر بن عياش عن أبى حصين عن أبى صالح قال: لما كان يوم بدر جعل النبى ﷺ يناشد ربه

---

(١) صحيح: أحمد في المسند (٢٠٨).

(٢) مسلم (١٧٦٣)، أبو داود (٢٦٩٠)، الترمذي (٣٠٨١)، وابن جرير في تفسيره (٩/ ١٨٩).

أشد النَّشدَة يدعو فأتاه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال: يا رسول الله بعض نِشدتك فو الله ليفين الله لك بما وعدك، قال البخارى [١] فى كتاب المغازى باب قول الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ - إلى قوله - ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[الأنفال: ١٣] حدثنا أبو نعيم حدثنا إسرائيل عن مخارق عن طارق بن شهاب قال سمعت ابن مسعود يقول شهدت من المقداد بن الأسود مشهدًا لأن أكون صاحبه أحب إلى مما عدل به، أتى النبى ﷺ وهو يدعو على المشركين فقال: لا نقول كما قال قوم موسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا﴾ ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك فرأيت النبى ﷺ أشرق وجهه وسره - يعنى قوله -. وحدثنى [٢] محمد بن عبد الله بن حوشب حدثنا عبد الوهاب حدثنا خالد الحذاء عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال النبى ﷺ يوم بدر «اللهم أنشدك عهدك ووعدك اللهم إن شئت لم تعبد» فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك فخرج وهو يقول ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾[القمر: ٤٥] ورواه النسائى [٣] عن بندار عن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفى وقوله تعالى ﴿بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ أى يردف بعضهم بعضًا كما قال هارون بن عنترة عن ابن عباس ﴿مُرْدِفِينَ﴾ متتابعين ويحتمل أن المراد ﴿مُرْدِفِينَ﴾ لكم أى نجدة لكم كما قال العوفى عن ابن عباس ﴿مُرْدِفِينَ﴾ يقول المدد كما تقول ايت الرجل فزده كذا وكذا وهكذا قال مجاهد وابن كثير القارى وابن زيد ﴿مُرْدِفِينَ﴾ ممدين، وقال أبو كدينة عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس ﴿مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ قال وراء كل ملك ملك. وفى رواية بهذا الإسناد ﴿مُرْدِفِينَ﴾ قال بعضهم على أثر بعض وكذا قال أبو ظبيان والضحاك وقتادة، وقال ابن جرير [٤]: حدثنى المثنى حدثنا إسحاق حدثنا يعقوب بن محمد الزهرى حدثنى عبد العزيز بن عمران عن الزمعى عن أبى الحويرث عن محمد جبير عن على رضى الله عنه قال: نزل جبريل فى ألف من الملائكة عن ميمنة النبى ﷺ وفيها أبو بكر، ونزل ميكائيل فى ألف من الملائكة عن ميسرة النبى ﷺ وأنا فى الميسرة. وهذا يقتضى إن صح إسناده أن الألف مردفة بمثلها ولهذا قرأ بعضهم «مُرْدَفين» بفتح الدال، والله أعلم.

والمشهور ما رواه على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال: وأمد الله نبيه ﷺ والمؤمنين بألف من الملائكة فكان جبريل فى خمسمائة من الملائكة مجنبة، وميكائيل فى خمسمائة مجنبة، وروى الإمام أبو جعفر بن جرير ومسلم [٥] من حديث عكرمة بن عمار عن أبى زميل سماك بن وليد الحنفى عن ابن عباس، عن عمر الحديث المتقدم، ثم قال أبو زميل: حدثنى ابن عباس قال: بينا رجل من المسلمين يشتد فى أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم إذ نظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقيًا قال فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع فجاء الأنصارى فحدث ذلك رسول الله ﷺ فقال: صدقت ذلك من مدد السماء

---

(١) البخاري (٣٩٥٢). (٢) البخاري (٣٩٥٣).
(٣) النسائي في الكبرى (١١٥٥٧).
(٤) ضعيف: ابن جرير في تفسيره (٩/ ١٩٢)، في سنده عبد العزيز بن عمران: منكر الحديث.
(٥) مسلم (١٧٦٣).

الثالثة، فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين وقال البخارى [١] : باب شهود الملائكة بدرًا. حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا جرير عن يحيى بن سعيد عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقى عن أبيه وكان أبوه من أهل بدر قال جاء جبريل إلى النبى ﷺ فقال ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال «من أفضل المسلمين» أو كلمة نحوها قال: وكذلك من شهد بدرا من الملائكة. انفرد بإخراجه البخارى وقد رواه الطبرانى [٢] فى المعجم الكبير من حديث رافع بن خديج وهو خطأ، والصواب رواية البخارى والله أعلم، وفى الصحيحين [٣] أن رسول الله ﷺ قال لعمر لما شاوره فى قتل حاطب بن أبى بلتعة «إنه قد شهد بدرًا وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، أى وما جعل الله بعث الملائكة وإعلامه إياكم بهم إلا بشرى ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ﴾ وإلا فهو تعالى قادر على نصركم على أعدائكم بدون ذلك ولهذا قال ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ كما قال تعالى ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد: ٤-٦] وقال تعالى ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠-١٤١] فهذه حِكَمٌ شرع الله جهاد الكفار بأيدى المؤمنين لأجلها وقد كان تعالى إنما يعاقب الأمم السالفة المكذبة للأنبياء بالقوارع التى تعم تلك الأمة المكذبة، كما أهلك قوم نوح بالطوفان، وعادًا الأولى بالدبور، وثمود بالصيحة، وقوم لوط بالخسف والقلب وحجارة السجيل، وقوم شعيب بيوم الظلة، فلما بعث الله تعالى موسى وأهلك عدوه فرعون وقومه بالغرق فى اليم ثم أنزل على موسى التوراة شرع فيها قتال الكفار واستمر الحكم فى بقية الشرائع بعده على ذلك كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ﴾ [القصص: ٤٣] وقتل المؤمنين للكافرين، أشد إهانة للكافرين، وأشفى لصدور المؤمنين، كما قال تعالى للمؤمنين من هذه الأمة ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤] ولهذا كان قتل صناديد قريش بأيدى أعدائهم الذين ينظرون إليهم بأعين ازدرائهم أنكى لهم وأشفى لصدور حزب الإيمان، فقتل أبى جهل فى معركة القتال وحومة الوغى أشد إهانة له أن يموت على فراشه بقارعة أو صاعقة أو نحو ذلك كما مات أبو لهب لعنه الله بالعدسة بحيث لم يقربه أحد من أقاربه، إنما غسلوه بالماء قذفًا من بعيد، ورجموه حتى دفنوه، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أى له العزة ولرسوله وللمؤمنين بهما فى الدنيا والآخرة كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١-٥٢] ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما شرعه من قتال الكفار مع القدرة على دمارهم وإهلاكهم بحوله وقوته سبحانه وتعالى.

---

(١) البخاري (٣٩٩٢).
(٢) الطبراني في الكبير (٤/ ٢٧٧)، برقم (٤٤١٢).
(٣) البخاري (٣٠٠٧)، مسلم (٢٤٩٤).

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾﴾

يذكرهم الله تعالى بما أنعم به عليهم من إلقائه النعاس عليهم أمانًا من خوفهم الذى حصل لهم من كثرة عدوهم وقلة عددهم، وكذلك فعل تعالى بهم يوم أحد كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾[آل عمران: ١٥٤] الآية، قال أبو طلحة: كنت ممن أصابه النعاس يوم أحد، ولقد سقط السيف من يدى مرارًا يسقط وآخذه، ويسقط وآخذه، ولقد نظرت إليهم يميدون وهم تحت الحجف، وقال الحافظ أبو يعلى[1] حدثنا زهير حدثنا ابن مهدى عن شعبة عن أبى إسحاق عن حارثة بن مضرب عن على رضى الله عنه قال: ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم، إلا رسول الله ﷺ يصلى تحت شجرة ويبكى حتى أصبح.

وقال سفيان الثورى عن عاصم عن أبى رزين عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال: النعاس في القتال أمنة من الله، وفى الصلاة من الشيطان، وقال قتادة: النعاس فى الرأس، والنوم فى القلب، قلت: أما النعاس فقد أصابهم يوم أحد وأمر ذلك مشهور جدًا، وأما يوم بدر فهذه الآية الشريفة إنما هى فى سياق قصة بدر، وهى دالة على وقوع ذلك أيضًا وكأن ذلك كان سجية للمؤمنين عند شدة البأس لتكون قلوبهم آمنة مطمئنة بنصر الله، وهذا من فضل الله ورحمته بهم ونعمه عليهم وكما قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾[الشرح: ٥-٦] ولهذا جاء فى الصحيح أن رسول الله ﷺ لما كان يوم بدر فى العريش مع الصديق رضى الله عنه وهما يدعوان أخذت رسول الله ﷺ سنة من النوم ثم استيقظ متبسما فقال: «أبشر يا أبا بكر هذا جبريل على ثناياه النقع» ثم خرج من باب العريش وهو يتلو قوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾[القمر: ٤٥].

وقوله ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال: نزل النبى ﷺ - يعني حين سار إلى بدر - والمسلمون بينهم وبين الماء رملة دعصة وأصاب المسلمين ضعف شديد وألقى الشيطان فى قلوبهم الغيظ يوسوس بينهم تزعمون أنكم أولياء الله تعالى وفيكم رسوله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم تصلون مجنبين فأمطر الله عليهم مطرًا شديدًا فشرب المسلمون وتطهروا وأذهب الله عنهم رجز الشيطان وأنشف الرمل حين أصابه المطر ومشى الناس عليه والدواب فساروا إلى القوم، وأمد الله نبيه ﷺ والمؤمنين بألف من الملائكة فكان جبريل فى خمسمائة مجنبة، وميكائيل فى خمسمائة مجنبة.

وكذا قال العوفى عن ابن عباس: إن المشركين من قريش لما خرجوا لينصروا العير وليقاتلوا عنها

(١) صحيح: أبو يعلى في مسنده (١/ ٢٤٢)، برقم (٢٨٠).

نزلوا على الماء يوم بدر فغلبوا المؤمنين عليه فأصاب المؤمنين الظمأ فجعلوا يصلون مجنبين محدثين حتى تعاظموا ذلك فى صدورهم فأنزل الله من السماء ماء حتى سال الوادى فشرب المؤمنون وملؤوا الأسقية وسقوا الركاب واغتسلوا من الجنابة فجعل الله فى ذلك طهورًا وثبت الأقدام وذلك أنه كانت بينهم وبين القوم رملة فبعث الله المطر عليها فضربها حتى اشتدت وثبتت عليها الأقدام. ونحو ذلك روى عن قتادة والضحاك والسدى، وقد روى عن سعيد بن المسيب والشعبى والزهرى وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنه طش أصابهم يوم بدر.

والمعروف أن رسول الله ﷺ لما سار إلى بدر نزل على أدنى ماء هناك أى أول ماء وجده فتقدم إليه الحباب بن المنذر فقال: يا رسول الله هذا المنزل الذى نزلته منزل أنزلكه الله فليس لنا أن نجاوزه أو منزل نزلته للحرب والمكيدة؟ فقال «بل منزل نزلته للحرب والمكيدة» فقال يا رسول الله إن هذا ليس بمنزل ولكن سر بنا حتى ننزل على أدنى ماء يلى القوم ونغور ما وراءه من القلب، ونستقى الحياض فيكون لنا ماء وليس لهم ماء فسار رسول الله ﷺ ففعل كذلك، وفى مغازى الأموى أن الحباب لما قال ذلك نزل ملك من السماء وجبريل جالس عند رسول الله ﷺ فقال ذلك الملك، يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول لك إن الرأى ما أشار به الحباب بن المنذر فالتفت رسول الله ﷺ إلى جبريل عليه السلام فقال: «هل تعرف هذا»؟ فنظر إليه فقال: ما كل الملائكة أعرفهم وإنه ملك وليس بشيطان. وأحسن ما فى هذا ما رواه الإمام محمد بن إسحاق بن يسار صاحب المغازى رحمه الله حدثنى يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال: بعث الله السماء وكان الوادى دهسًا فأصاب رسول الله ﷺ وأصحابه مالبد لهم الأرض، ولم يمنعهم من المسير وأصاب قريشًا مالم يقدروا على أن يرتحلوا معه [1] وقال مجاهد: أنزل الله عليهم المطر قبل النعاس فأطفأ بالمطر الغبار وتلبدت به الأرض وطابت نفوسهم وثبتت به أقدامهم.

وقال ابن جرير [2]: حدثنا هارون بن إسحاق حدثنا مصعب بن المقدام حدثنا إسرائيل حدثنا أبو إسحاق عن حارثة عن على رضى الله عنه قال: أصابنا من الليل طش من المطر يعنى الليلة التى كانت فى صبيحتها وقعة بدر فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها من المطر وبات رسول الله ﷺ يدعو ربه: «اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض» فلما أن طلع الفجر نادى الصلاة عباد الله فجاء الناس من تحت الشجر والحجف فصلى بنا رسول الله ﷺ وحرض على القتال. وقوله ﴿لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ أى من حدث أصغر أو أكبر وهو تطهير الظاهر ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أى من وسوسة أو خاطر سيء وهو تطهير الباطن كما قال تعالى فى حق أهل الجنة ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ٢١] فهذا زينة الظاهر ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١] أى مطهرًا لما كان من غل أو حسد أو تباغض وهو زينة الباطن وطهارته ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ أى بالصبر والإقدام على مجالدة الأعداء وهو شجاعة الباطن ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ وهو شجاعة الظاهر، والله أعلم.

وقوله ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وهذه نعمة خفية أظهرها الله تعالى لهم ليشكروه عليها وهو أنه تعالى وتقدس وتبارك وتمجد أوحى إلى الملائكة الذين أنزلهم لنصر نبيه

(١) ذكره الطبري في تاريخه (٢/ ٢٩).
(٢) صحيح: الطبري في تفسيره (٩/ ١٩٤).

ودينه وحزبه المؤمنين يوحى إليهم فيما بينه وبينهم أن يثبتوا الذين آمنوا قال ابن إسحاق: وآزروهم. وقال غيره: قاتلوا معهم، وقيل: كثروا سوادهم وقيل كان ذلك بأن الملك كان يأتى الرجل من أصحاب النبى ﷺ فيقول: سمعت هؤلاء القوم يعنى المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لنتكشفن فيحدث المسلمون بعضهم بعضًا بذلك فتقوى أنفسهم حكاه ابن جرير وهذا لفظه بحروفه، وقوله ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ أى ثبتوا أنتم المؤمنين وقووا أنفسهم على أعدائهم عن أمرى لكم بذلك سألقى الرعب والمذلة والصغار على من خالف أمرى وكذب رسولى ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ أى اضربوا الهام ففلقوها، واحتزوا الرقاب فقطعوها، وقطعوا الأطراف منهم وهى أيديهم وأرجلهم وقد اختلف المفسرون فى معنى ﴿فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ فقيل معناه اضربوا الرؤوس، قاله عكرمة وقيل معناه: ﴿فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ أى على الأعناق وهى الرقاب قاله الضحاك وعطية العوفى ويشهد لهذا المعنى أن الله تعالى أرشد المؤمنين إلى هذا فى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ﴾ [محمد: ٤] وقال وكيع عن المسعودى عن القاسم قال: قال النبى ﷺ «إنى لم أبعث لأعذب بعذاب الله، إنما بعثت لضرب الرقاب وشد الوثاق» (١) واختار ابن جرير أنها تدل على ضرب الرقاب وفلق الهام، قلت وفى مغازى الأموى أن رسول الله ﷺ جعل يمر بين القتلى يوم بدر فيقول «نفلق هامًا» فيقول أبو بكر:

.... من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلما

فيبتدىء رسول الله ﷺ بأول البيت ويستطعم أبا بكر رضى الله عنه إنشاد آخره لأنه كان لا يحسن إنشاد الشعر كما قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ [يس: ٦٩] وقال الربيع بن أنس: كان الناس يوم بدر يعرفون قتلى الملائكة ممن قتلوهم بضرب فوق الأعناق وعلى البنان مثل سمة النار قد أحرق به، وقوله ﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾

وقال ابن جرير: معناه واضربوا من عدوكم أيها المؤمنون كل طرف ومفصل من أطراف أيديهم وأرجلهم، والبنان جمع بنانة كما قال الشاعر:

ألا ليتنى قطعت منى بنانة ولاقيته فى البيت يقظان حاذرا

وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس: ﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ يعنى بالبنان الأطراف وكذا قال الضحاك وابن جريج: وقال السدى البنان الأطراف ويقال كل مفصل وقال عكرمة وعطية العوفى والضحاك فى رواية أخرى كل مفصل.

وقال الأوزاعى فى قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ قال اضرب منه الوجه والعين وارمه بشهاب من نار فإذا أخذته حرم ذلك كله عليك وقال العوفى عن ابن عباس: فذكر قصة بدر إلى أن قال: فقال أبو جهل لا تقتلوهم قتلا ولكن خذوهم أخذًا حتى تعرفوهم الذى صنعوا من طعنهم فى دينكم ورغبتهم عن اللات والعزى فأوحى الله إلى الملائكة ﴿أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾، فقتل أبو جهل لعنه الله فى تسعة وستين رجلًا، وأسر عقبة بن أبى معيط فقتل صبرًا فوفى ذلك سبعين يعنى قتيلا ولهذا قال تعالى:

(١) ضعيف: أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٤٨٥)، برقم (٣٣١٤٥) عن وكيع به، في سنده إرسال.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أى خالفوهما فساروا فى شق، وتركوا الشرع والإيمان به واتباعه فى شق، وهو مأخوذ أيضًا من شق العصا وهو جعلها فرقتين ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ أى هو الطالب الغالب لمن خالفه وناوأه لا يفوته شىء ولا يقوم لغضبه شىء تبارك وتعالى لا إله غيره ولا رب سواه ﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٤﴾ هذا خطاب للكفار أى ذوقوا هذا العذاب والنكال فى الدنيا واعلموا أيضًا أن للكافرين عذاب النار فى الآخرة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ۝١٥ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝١٦﴾

يقول تعالى متوعدًا على الفرار من الزحف بالنار لمن فعل ذلك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا﴾ أى تقاربتم منهم ودنوتم منهم ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ أى تفروا وتتركوا أصحابكم ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾ أى يفر بين يدى قرنه مكيدة ليريه أنه قد خاف منه فيتبعه ثم يكر عليه فيقتله فلا بأس عليه فى ذلك نص عليه سعيد بن جبير والسدى، وقال الضحاك أن يتقدم عن أصحابه ليرى غرة من العدو فيصيبها ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ أى فر من ها هنا إلى فئة أخرى من المسلمين يعاونهم ويعاونونه فيجوز له ذلك حتى لو كان فى سرية ففر إلى أميره أو إلى الإمام الأعظم دخل فى هذه الرخصة.

قال الإمام أحمد [(١)] : حدثنا حسن حدثنا زهير حدثنا يزيد بن أبى زياد عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: كنت فى سرية من سرايا رسول الله ﷺ فحاص الناس حيصة فكنت فيمن حاص فقلنا كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب؟ ثم قلنا لو دخلنا المدينة، فبتنا، ثم قلنا لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ فإن كانت لنا توبة وإلا ذهبنا، فأتيناه قبل صلاة الغداة فخرج فقال «من القوم؟» فقلنا نحن الفرارون فقال «لا بل أنتم العكارون أنا فئتكم وأنا فئة المسلمين» قال فأتيناه حتى قبلنا يده.

وهكذا رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه [(٢)] من طرق عن يزيد بن أبى زياد وقال الترمذى: حسن لا نعرفه إلا من حديث ابن أبى زياد ورواه ابن أبى حاتم من حديث يزيد بن أبى زياد به، وزاد فى آخره وقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ قال أهل العلم معنى قوله «العكارون» أى العطافون، وكذلك قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى أبى عبيدة لما قتل على الجسر بأرض فارس لكثرة الجيش من ناحية المجوس فقال عمر لو انحاز إلىّ لكنت له فئة هكذا رواه محمد بن سيرين عن عمر، وفى رواية أبى عثمان النهدى عن عمر قال لما قتل أبو عبيدة قال عمر: أيها الناس أنا فئتكم، وقال مجاهد قال عمر أنا فئة كل مسلم، وقال عبد الملك بن عمير عن عمر أيها الناس لا تغرنكم هذه الآية فإنما كانت يوم بدر وأنا فئة كل مسلم.

---

(١) **ضعيف**: المسند (٥٣٨٤). في إسناده يزيد بن أبي زياد تكلم فيه غير واحد من الأئمة.
(٢) **ضعيف**: أبو داود (٢٦٤٧)، الترمذي (١٧١٦)، ابن ماجه (٣٧٠٤).

وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا حسان بن عبد الله المصرى حدثنا خلاد بن سليمان الحضرمى حدثنا نافع أنه سأل ابن عمر قلت إنا قوم لا نثبت عند قتال عدونا، ولا ندرى من الفئة إمامنا أو عسكرنا؟ فقال إن الفئة رسول الله ﷺ فقلت إن الله يقول: ﴿إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾، فقال إنما نزلت هذه الآية فى يوم بدر لا قبلها ولا بعدها، وقال الضحاك فى قوله ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ﴾ المتحيز الفار إلى النبى ﷺ وأصحابه، وكذلك من فر اليوم إلى أميره أو أصحابه، فأما إن كان الفرار لا عن سبب من هذه الأسباب فإنه حرام وكبيرة من الكبائر لما رواه البخارى ومسلم فى الصحيحين [١] عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «اجتنبوا السبع الموبقات» قيل يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» ولهذا الحديث شواهد من وجوه أخر، ولهذا قال تعالى: ﴿فَقَدْ بَاءَ﴾ أى رجع ﴿بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ﴾ أى مصيره ومنقلبه يوم ميعاده ﴿جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

وقال الإمام أحمد [٢] حدثنا زكريا بن عدى حدثنا عبد الله بن عمر الرقى عن زيد بن أبى أنيسة حدثنا جبلة بن سحيم عن أبى المثنى العبدى سمعت السدوسى يعنى ابن الخصاصية وهو بشير بن معبد قال أتيت النبى ﷺ لأبايعه فاشترط على شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن أقيم الصلاة، وأن أؤدى الزكاة، وأن أحج حجة الإسلام، وأن أصوم شهر رمضان، وأن أجاهد فى سبيل الله، فقلت يا رسول الله أما اثنتان فو الله لا أطيقهما: الجهاد، فإنهم زعموا أنه من ولى الدبر فقد باء بغضب من الله فأخاف إن حضرت ذلك خشعت نفسى وكرهت الموت، والصدقة فو الله ما لى إلا غنيمة وعشر ذَوْدٍ هنّ رسل أهلى وحمولتهم، فقبض رسول الله ﷺ يده ثم قال: «فلا جهاد ولا صدقة فبم تدخل الجنة إذًا؟» فقلت يارسول الله أنا أبايعك فبايعته عليهن كلهن، هذا حديث غريب من هذا الوجه ولم يخرجوه فى الكتب الستة.

وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى [٣] حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن حمزة حدثنا إسحاق بن إبراهيم أبو النضر حدثنا يزيد بن ربيعة حدثنا أبو الأشعث عن ثوبان عن النبى ﷺ قال: «ثلاثة لا ينفع معهن عمل: الشرك بالله وعقوق الوالدين والفرار من الزحف» وهذا أيضًا حديث غريب جدًا.

وقال الطبرانى [٤] أيضًا حدثنا العباس بن الفضل الأسفاطى حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حفص بن عمر الشنى حدثنى عمرو بن مرة قال سمعت بلال بن يسار بن زيد مولى رسول الله ﷺ قال سمعت أبى يحدث عن جدى قال: قال رسول الله ﷺ «من قال: أستغفر الله الذى لا إله إلا هو وأتوب إليه غفر له وإن كان قد فر من الزحف» وهكذا رواه أبو داود [٥] عن موسى بن إسماعيل به، وأخرجه

---

(١) البخاري (٢٧٦٦)، مسلم (٨٩).

(٢) صحيح الإسناد: أحمد في المسند (٢١٤٤٥)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٤٢): ورجال أحمد موثقون.

(٣) ضعيف: الطبراني (٢/ ٩٥)، برقم (١٤٢٠)، قال في مجمع الزوائد (١/ ١٠٤): فيه يزيد بن ربيعة، ضعيف جدًا.

(٤) صحيح: الطبراني في الكبير (٥/ ٨٩) (٤٦٧٠).

(٥) صحيح: أبو داود (١٥١٧).

الترمذى [١] عن البخارى عن موسى بن إسماعيل به وقال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، قلت ولا يعرف لزيد مولى النبى ﷺ عنه سواه، وقد ذهب ذاهبون إلى أن الفرار إنما كان حراما على الصحابة؛ لأنه -يعني الجهاد- كان فرض عين عليهم، وقيل على الأنصار خاصة لأنهم بايعوا على السمع والطاعة فى المنشط والمكره. وقيل: المراد بهذه الآية أهل بدر خاصة يروى هذا عن عمر وابن عمر وابن عباس وأبى هريرة وأبى سعيد وأبى نضرة ونافع مولى ابن عمر وسعيد بن جبير والحسن البصرى وعكرمة وقتادة والضحاك وغيرهم، وحجتهم فى هذا أنه لم تكن عصابة لها شوكة يفيئون إليها سوى عصابتهم تلك كما قال النبى ﷺ: «اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الأرض» [٢] ولهذا قال عبد الله بن المبارك عن مبارك بن فضالة عن الحسن فى قوله ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥ﴾ قال ذلك يوم بدر فأما اليوم فإن انحاز إلى فئة أو مصر أحسبه قال فلا بأس عليه.

وقال ابن المبارك عن المبارك أيضًا عن ابن لهيعة حدثنى يزيد بن أبى حبيب قال: أوجب الله تعالى لمن فر يوم بدر النار قال ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ فلما كان يوم أحد بعد ذلك قال ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟﴾ إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٥] ثم كان يوم حنين بعد ذلك بسبع سنين قال ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥] ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ [التوبة: ٢٧] وفى سنن أبى داود والنسائى ومستدرك الحاكم وتفسير ابن جرير [٣] وابن مردويه من حديث داود بن أبى هند عن أبى نضرة عن أبى سعيد أنه قال فى هذه الآية ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥ﴾ إنما أنزلت فى أهل بدر، وهذا كله لا ينفى أن يكون الفرار من الزحف حراما على غير أهل بدر، وإن كان سبب نزول الآية فيهم كما دل عليه حديث أبى هريرة المتقدم من أن الفرار من الزحف من الموبقات كما هو مذهب الجماهير، والله أعلم.

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾﴾

يبين تعالى أنه خالق أفعال العباد وأنه المحمود على جميع ما صدر منهم من خير لأنه هو الذى وفقهم لذلك وأعانهم عليه ولهذا قال: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ أى ليس بحولكم وقوتكم قتلتم أعداءكم مع كثرة عددهم وقلة عددكم. أى بل هو الذى أظفركم عليهم كما قال: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٣]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥] يعلم تبارك وتعالى أن النصر ليس عن كثرة العدد ولا بلبس اللأمة والعدد، وإنما النصر من عند تعالى كما قال تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ

---

(١) صحيح: الترمذي (٣٥٧٧).

(٢) مسلم (١٧٦٣)، الترمذي (٣٠٨١)، أحمد (٢٠٨) من حديث عبد الله بن عباس عن عمر.

(٣) صحيح: أبو داود (٢٢٧٧)، النسائي في الكبرى (٦/ ٣٥٠)، برقم (١١٢٠٣)، الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٥٧)، برقم (٣٢٦٢)، ابن جرير (٩/ ٢٠١).

﴿اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩] .

ثم قال تعالى لنبيه ﷺ أيضًا فى شأن القبضة من التراب التى حصب بها وجوه المشركين يوم بدر حين خرج من العريش بعد دعائه وتضرعه واستكانته فرماهم بها وقال: «شاهت الوجوه» ثم أمر أصحابه أن يصدقوا الحملة إثرها ففعلوا فأوصل الله تلك الحصباء إلى أعين المشركين فلم يبق أحد منهم إلا ناله منها ما شغله عن حاله ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ أى هو الذى بلغ ذلك إليهم وكبتهم بها لا أنت. قال على بن أبى طلحة، عن ابن عباس: رفع رسول الله ﷺ يديه - يعنى يوم بدر - فقال: «يا رب إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد فى الأرض أبدًا» فقال له جبريل خذ قبضة من التراب فارم بها فى وجوههم فأخذ قبضة من التراب فرمى بها فى وجوههم فما من المشركين أحد إلا أصاب عينيه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة فولوا مدبرين [١] .

وقال السدى: قال رسول الله ﷺ لعلى رضى الله عنه يوم بدر: «أعطنى حصبًا من الأرض» فناوله حصبًا عليه تراب فرمى به فى وجوه القوم فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه من ذلك التراب شىء، ثم ردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم، وأنزل الله ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [٢] وقال أبو معشر المدنى عن محمد بن قيس ومحمد بن كعب القرظى قالا: لما دنا القوم بعضهم من بعض أخذ رسول الله ﷺ قبضة من تراب فرمى بها فى وجوه القوم وقال: «شاهت الوجوه» فدخلت فى أعينهم كلهم وأقبل أصحاب رسول الله ﷺ يقتلونهم ويأسرونهم وكانت هزيمتهم فى رمية رسول الله ﷺ فأنزل الله [٣] : ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ قال: هذا يوم بدر أخذ رسول الله ﷺ ثلاث حصيات فرمى بحصاة ميمنة القوم، وحصاة فى ميسرة القوم وحصاة بين أظهرهم، وقال «شاهت الوجوه» فانهزموا [٤] ، وقد روى فى هذه القصة عن عروة بن الزبير ومجاهد وعكرمة وقتادة وغير واحد من الأئمة أنها نزلت فى رمية النبى ﷺ يوم بدر وإن كان قد فعل ذلك يوم حنين أيضًا. وقال أبو جعفر بن جرير [٥] : حدثنا أحمد بن منصور حدثنا يعقوب بن محمد حدثنا عبد العزيز بن عمران حدثنا موسى بن يعقوب بن عبد الله بن زمعة عن يزيد بن عبد الله عن أبى بكر بن سليمان بن أبى حثمة عن حكيم بن حزام قال: لما كان يوم بدر سمعنا صوتًا وقع من السماء كأنه صوت حصاة وقعت فى طست ورمى رسول الله ﷺ تلك الرمية فانهزمنا، غريب من هذا الوجه، وههنا قولان آخران غريبان جدًا:

(أحدهما): قال ابن جرير حدثنى محمد بن عوف الطائى حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان بن عمرو حدثنا عبد الرحمن بن جبير أن رسول الله ﷺ يوم ابن أبى الحقيق بخيبر دعا بقوس فأتى بقوس طويلة وقال «جيئونى بقوس غيرها» فجاءوه بقوس كبداء فرمى النبى ﷺ الحصن فأقبل السهم يهوى حتى قتل

---

(١) رواه ابن جرير في تفسيره (٩/ ٢٠٥).
(٢) رواه ابن جرير في تفسيره (٩/ ٢٠٥).
(٣) رواه ابن جرير في تفسيره (٩/ ٢٠٥).
(٤) رواه ابن جرير في تفسيره (٩/ ٢٠٥).
(٥) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٨٤): رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وإسناده حسن.

ابن أبى الحقيق وهو فى فراشه فأنزل الله عز وجل ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [١] وهذا غريب وإسناده جيد إلى عبد الرحمن بن جبير بن نفير ولعله اشتبه عليه أو أنه أراد أن الآية تعم هذا كله وإلا فسياق الآية فى سورة الأنفال فى قصة بدر لا محالة وهذا مما لا يخفى على أئمة العلم، والله أعلم.

(والثانى): روى ابن جرير أيضًا والحاكم فى مستدركه [٢] بإسناد صحيح إلى سعيد بن المسيب والزهرى أنهما قالا: أنزلت فى رمية النبى ﷺ يوم أحد أبى بن خلف بالحربة وهو فى لأمته فخدشه فى ترقوته فجعل يتدأدأ عن فرسه مرارًا حتى كانت وفاته بعد أيام قاسى فيها العذاب الأليم موصولا بعذاب البرزخ المتصل بعذاب الآخرة، وهذا القول عن هذين الإمامين غريب أيضًا جدًّا ولعلهما أرادا أن الآية تتناوله بعمومها لا أنها نزلت فيه خاصة كما تقدم والله أعلم. وقال محمد بن إسحاق حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير فى قوله ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾ أى ليعرف المؤمنين من نعمته عليهم من إظهارهم على عدوهم مع كثرة عدوهم وقلة عددهم ليعرفوا بذلك حقه ويشكروا بذلك نعمته وهكذا فسر ذلك ابن جرير أيضًا، وفى الحديث «وكل بلاء حسن أبلانا» وقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أى سميع الدعاء عليم بمن يستحق النصر والغلب، وقوله ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ هذه بشارة أخرى مع ما حصل من النصر أنه أعلمهم تعالى بأنه مضعف كيد الكافرين فيما يستقبل مصغر أمرهم وأنهم وكل ما لهم فى تبار ودمار، ولله الحمد والمنة.

﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ ۚ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾

يقول تعالى للكفار: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟﴾ أى تستنصروا وتستقضوا الله وتستحكموه أن يفصل بينكم وبين أعدائكم المؤمنين فقد جاءكم ما سألتم كما قال محمد بن إسحاق وغيره عن الزهرى عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير أن أبا جهل قال يوم بدر: اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة. وكان ذلك استفتاحًا منه فنزلت ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ إلى آخر الآية. وقال الإمام أحمد [٣] حدثنا يزيد يعنى ابن هارون أخبرنا محمد بن إسحاق حدثنى الزهرى عن عبد الله بن ثعلبة أن أبا جهل قال حين التقى القوم: اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة. فكان المستفتح، وأخرجه النسائى [٤] فى التفسير من حديث صالح بن كيسان عن الزهرى به، وكذا رواه الحاكم فى مستدركه [٥] من طريق الزهرى به، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وروى نحو هذا عن ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة ويزيد بن رومان وغير واحد، وقال السدى كان المشركون حين خرجوا من مكة إلى بدر أخذوا بأستار الكعبة فاستنصروا الله وقالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأكرم الفئتين وخير القبيلتين، فقال الله: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ يقول

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ٨٩١١).
(٢) الحاكم (٢/ ٣٥٧)، برقم (٣٢٦٣).
(٣) صحيح: أحمد برقم (٢٣١٤٨).
(٤) النسائي (٦/ ٣٥٠) برقم (١١٢٠١).
(٥) الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٥٧)، برقم (٣٢٦٤).

قد نصرت ما قلتم وهو محمد ﷺ .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هو قوله تعالى إخبارًا عنهم ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ الآية [الأنفال: ٣٢]، وقوله ﴿وَإِن تَنتَهُوا﴾ أى عما أنتم فيه من الكفر بالله والتكذيب لرسوله ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أى فى الدنيا والآخرة، وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ﴾ كقوله ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء: ٨] معناه وإن عدتم إلى ما كنتم فيه من الكفر والضلالة نعد لكم بمثل هذه الواقعة. وقال السدى ﴿وَإِن تَعُودُوا﴾ أى إلى الاستفتاح ﴿نَعُدْ﴾ أى إلى الفتح لمحمد ﷺ والنصر له وتظفيره على أعدائه والأول أقوى ﴿وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ﴾ أى ولو جمعتم من الجموع ما عسى أن تجمعوا، فإن من كان الله معه فلا غالب له «فإن الله مع المؤمنين» وهم الحزب النبوى والجناب المصطفوى.

ثلاثة أرباع الحزب ١٨

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ۝٢٠ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٢١ ۞ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۝٢٢ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ۝٢٣﴾

يأمر تعالى عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله ويزجرهم عن مخالفته والتشبه بالكافرين به المعاندين له ولهذا قال ﴿وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ أى تتركوا طاعته وامتثال أوامره وترك زواجره ﴿وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ أى بعد ما علمتم ما دعاكم إليه ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٢١﴾ قيل: المراد المشركون واختاره ابن جرير، وقال ابن إسحاق هم المنافقون فإنهم يظهرون أنهم قد سمعوا واستجابوا وليسوا كذلك، ثم أخبر تعالى أن هذا الضرب من بنى آدم شر الخلق والخليقة فقال ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ﴾ أى عن سماع الحق ﴿الْبُكْمُ﴾ عن فهمه ولهذا قال ﴿الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ فهؤلاء شر البرية لأن كل دابة مما سواهم مطيعة لله فيما خلقها له وهؤلاء خلقوا للعبادة فكفروا، ولهذا شبههم بالأنعام فى قوله ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الآية [البقرة: ١٧١].

وقال فى الآية الأخرى ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩] وقيل المراد بهؤلاء المذكورين نفر من بنى عبد الدار من قريش روى عن ابن عباس ومجاهد واختاره ابن جرير. وقال محمد بن إسحاق هم المنافقون.

قلت: ولا منافاة بين المشركين والمنافقين فى هذا لأن كلا منهم مسلوب الفهم الصحيح والقصد إلى العمل الصالح، ثم أخبر تعالى بأنهم لا فهم لهم صحيح ولا قصد لهم صحيح لو فرض أن لهم فهما فقال ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ أى لأفهمهم وتقدير الكلام: ولكن لا خير فيهم فلم يفهمهم لأنه يعلم أنه «لو أسمعهم» أى أفهمهم ﴿لَتَوَلَّوْا﴾ عن ذلك قصدًا وعنادًا بعد فهمهم ذلك ﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ عنه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

قال البخاري [1] ﴿ٱسْتَجِيبُواْ﴾ أجيبوا ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ لما يصلحكم. حدثنا إسحاق حدثنا روح حدثنا شعبة عن خبيب بن عبد الرحمن قال: سمعت حفص بن عاصم يحدث عن أبى سعيد بن المعلى رضى الله عنه قال كنت أصلى فمر بى النبى ﷺ فدعانى فلم آته حتى صليت ثم أتيته فقال «ما منعك أن تأتيني؟ ألم يقل الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ - ثم قال - لأعلمنك أعظم سورة فى القرآن قبل أن أخرج» فذهب رسول الله ﷺ ليخرج فذكرت له. وقال معاذ: حدثنا شعبة عن خبيب بن عبد الرحمن سمع حفص بن عاصم سمع أبا سعيد رجلا من أصحاب النبى ﷺ بهذا وقال: وهي ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] هى السبع المثانى. هذا لفظه بحروفه وقد تقدم الكلام على هذا الحديث بذكر طرقه فى أول تفسير الفاتحة. وقال مجاهد فى قوله ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ قال للحق، وقال قتادة ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ قال هو هذا القرآن فيه النجاة والتقاة والحياة وقال السدى ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ ففى الإسلام إحياؤهم بعد موتهم بالكفر، وقال محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ أى للحرب التى أعزكم الله تعالى بها بعد الذل، وقواكم بها بعد الضعف، ومنعكم من عدوكم بعد القهر منهم لكم.

وقوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾، قال ابن عباس يحول بين المؤمن وبين الكفر وبين الكافر وبين الإيمان، رواه الحاكم فى مستدركه موقوفًا [2]، وقال: صحيح ولم يخرجاه، ورواه ابن مردويه من وجه آخر مرفوعًا، ولا يصح؛ لضعف إسناده [3] والموقوف أصح، وكذا قال مجاهد وسعيد وعكرمة والضحاك وأبو صالح وعطية ومقاتل بن حيان والسدى، وفى رواية عن مجاهد فى قوله ﴿يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ حتى يتركه لا يعقل، وقال السدى يحول بين الإنسان وقلبه فلا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر إلا بإذنه.

وقال قتادة هو كقوله ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] وقد وردت الأحاديث عن رسول الله ﷺ بما يناسب هذه الآية، وقال الإمام أحمد [4]: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبى سفيان عن أنس بن مالك رضى الله عنه، قال: كان النبى ﷺ يكثر أن يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك». قال: فقلنا يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: «نعم، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله تعالى يقلبها». وهكذا رواه الترمذى [5] فى كتاب القدر من جامعه عن هناد بن السرى عن أبى معاوية محمد بن حازم الضرير عن الأعمش، واسمه سليمان بن مهران عن أبى سفيان واسمه طلحة بن نافع عن أنس، ثم قال: حسن. وهكذا روى عن غير واحد عن الأعمش، ورواه بعضهم عنه عن أبى سفيان عن جابر عن النبى ﷺ وحديث أبى سفيان عن أنس أصح.

---

(١) البخاري (٤٦٤٧).
(٢) صحيح: الحاكم (٢/ ٣٥٨)، برقم (٣٢٦٥). (٣) كذا قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/ ٥١٤).
(٤) صحيح: أحمد في المسند (١١٦٩٧). (٥) صحيح: الترمذي (٢١٤٠).

(حديث آخر): قال الإمام أحمد، وقال عبد بن حميد في مسنده: [١] حدثنا عبد الملك بن عمرو حدثنا شعبة عن الحكم عن ابن أبي ليلى عن بلال، رضى الله عنه، أن النبي ﷺ كان يدعو «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك». هذا حديث جيد الإسناد إلا أن فيه انقطاعًا. وهو مع ذلك على شرط أهل السنن ولم يخرجوه.

(حديث آخر): قال الإمام أحمد [٢] حدثنا الوليد بن مسلم قال: سمعت ابن جابر يقول: حدثني بسر بن عبد الله الحضرمي أنه سمع أبا إدريس الخولاني يقول سمعت النواس بن سمعان الكلابي رضى الله عنه يقول سمعت النبي ﷺ يقول «ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن رب العالمين إذا شاء أن يقيمه أقامه وإذا شاء أن يزيغه أزاغه» وكان يقول «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» قال «والميزان بيد الرحمن يخفضه ويرفعه» وهكذا رواه النسائي وابن ماجه [٣] من حديث عبد الرحمن بن يزيد بن جابر فذكر مثله.

(حديث آخر): قال الإمام أحمد [٤] حدثنا يونس حدثنا حماد بن زيد عن المعلى بن زياد عن الحسن أن عائشة قالت: دعوات كان رسول الله ﷺ يدعو بها «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» قالت: فقلت يا رسول الله إنك تكثر أن تدعو بهذا الدعاء فقال «إن قلب الآدمي بين أصبعين من أصابع الله فإذا شاء أزاغه وإذا شاء أقامه».

(حديث آخر): قال الإمام أحمد [٥] حدثنا هاشم حدثنا عبد الحميد حدثني شهر سمعت أم سلمة تحدث أن رسول الله ﷺ كان يكثر في دعائه يقول «اللهم مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» قالت فقلت يا رسول الله أوَإنّ القلوب لتقلب؟ قال «نعم ما خلق الله من بشر من بني آدم إلا أن قلبه بين أصبعين من أصابع الله عز وجل فإن شاء أقامه وإن شاء أزاغه فنسأل الله ربنا أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب» قالت فقلت: يا رسول الله ألا تعلمني دعوة أدعو بها لنفسي؟ قال: «بلى قولي: اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن ما أحييتني».

(حديث آخر): قال الإمام أحمد [٦] حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة أخبرني أبو هانيء أنه سمع أبا عبد الرحمن الحُبُلِيَّ أنه سمع عبد الله بن عمرو أنه سمع رسول الله ﷺ يقول «إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرف كيف شاء» ثم قال رسول الله ﷺ «اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك» انفرد بإخراجه مسلم عن البخاري فرواه مع النسائي [٧] من حديث حيوة بن شريح المصري به.

---

(١) عبد بن حميد (١/ ١٤٠)، برقم (٣٥٩). (٢) صحيح: أحمد (١٧١٧٨).
(٣) صحيح: النسائي في الكبرى (٤/ ٤١٤)، برقم (٧٧٣٨)، ابن ماجه (١٩٩).
(٤) أحمد في مسنده (٢٤٠٨٣).
(٥) صحيح: أحمد في مسنده (٢٦٠٣٦). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٧٦): إسناده حسن.
(٦) صحيح: أحمد في مسنده (٦٥٣٣).
(٧) مسلم (٢٦٤٥)، النسائي في الكبرى (٤/ ٤١٤)، برقم (٧٧٣٩).

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾

يحذر تعالى عباده المؤمنين فتنة أى اختبارًا ومحنة يعم بها المسىء وغيره لا يخص بها أهل المعاصى ولا من باشر الذنب بل يعمهما حيث لم تدفع وترفع، كما قال الإمام أحمد: [1] حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم حدثنا شداد بن سعيد حدثنا غيلان بن جرير عن مطرف قال: قلنا للزبير: يا أبا عبد الله ما جاء بكم؟ ضيعتم الخليفة الذى قتل ثم جئتم تطلبون بدمه؟ فقال الزبير رضى الله عنه: إنا قرأنا على عهد رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ لم نكن نحسب أنا أهلها حتى وقعت منا حيث وقعت، وقد رواه البزار [2] من حديث مطرف عن الزبير وقال: لا نعرف مطرفًا روى عن الزبير غير هذا الحديث، وقد روى النسائى [3] من حديث جرير بن حازم عن الحسن عن الزبير نحو هذا، وقد روى ابن جرير [4] حدثنى الحارث حدثنا عبد العزيز حدثنا مبارك بن فضالة عن الحسن قال، قال الزبير لقد خوفنا بها يعنى قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ ونحن مع رسول الله ﷺ وما ظننا أنا خصصنا بها خاصة وكذا رواه حميد عن الحسن عن الزبير رضى الله عنه وقال داود بن أبى هند عن الحسن فى هذه الآية قال نزلت فى على وعثمان وطلحة والزبير رضى الله عنهم، وقال سفيان الثورى عن الصلت بن دينار عن عقبة بن صهبان سمعت الزبير يقول: لقد قرأت هذه الآية زمانًا وما أرانا من أهلها فإذا نحن المعنيون بها ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾ وقد روى من غير وجه عن الزبير بن العوام، وقال السدى: نزلت فى أهل بدر خاصة فأصابتهم يوم الجمل فاقتتلوا، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ يعنى أصحاب النبى ﷺ خاصة.

وقال فى رواية له عن ابن عباس فى تفسير هذه الآية أمر الله المؤمنين أن لا يقروا المنكر بين ظهرانيهم فيعمهم الله بالعذاب، وهذا تفسير حسن جدًا، ولهذا قال مجاهد فى قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ هى أيضًا لكم، وكذا قال الضحاك ويزيد بن أبى حبيب، وغير واحد، وقال ابن مسعود ما منكم من أحد إلا وهو مشتمل على فتنة إن الله تعالى يقول ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥] فأيكم استعاذ فليستعذ بالله من مضلات الفتن رواه ابن جرير، والقول بأن هذا التحذير يعم الصحابة وغيرهم وإن كان الخطاب معهم هو الصحيح، ويدل عليه الأحاديث الواردة فى التحذير من الفتن ولذلك كتاب مستقل يوضح فيه إن شاء الله تعالى، كما فعله الأئمه وأفردوه بالتصنيف ومن أخص ما يذكر ههنا ما رواه الإمام أحمد [5] حيث قال: حدثنا أحمد بن

(١) أحمد في مسنده (١٤١٧). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٧): رواه أحمد بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح.

(٢) البزار في مسنده (٣/ ١٩٠)، برقم (٩٧٦). قال الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٢٤): وفيه حجاج بن نصير ذكره ابن حبان في الثقات، وقال: يخطئ ويهم ووثقه ابن معين في رواية، وضعفه جماعة، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٣) النسائي في الكبرى (٦/ ٣٥١)، برقم (١١٢٠٦).

(٤) ابن جرير في تفسيره (٩/ ٢١٩).

(٥) المسند (١٧٢٦٧) قال الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٦٧): رواه أحمد من طريقين، إحداها هذا- يعنى قوله: وعن

الحجاج أخبرنا عبد الله يعنى ابن المبارك، أنبأنا سيف بن أبى سليمان سمعت عدى بن عدى الكندى يقول، حدثنى مولى لنا أنه سمع جدى يعنى عدى بن عميرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله عز وجل لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه، فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة» فيه رجل متهم ولم يخرجوه فى الكتب الستة ولا واحد منهم والله أعلم.

(حديث آخر): قال الإمام أحمد [١] حدثنا سليمان الهاشمى حدثنا إسماعيل يعنى ابن جعفر أخبرنى عمرو بن أبى عمر عن عبد الله بن عبد الرحمن الأشهل عن حذيفة بن اليمان أن رسول الله ﷺ قال «والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم». ورواه [٢] عن أبى سعيد عن إسماعيل بن جعفر وقال «أو ليبعثن الله عليكم قوما ثم تدعونه فلا يستجيب لكم». وقال الإمام أحمد [٣] حدثنا عبد الله بن نمير قال حدثنا رزين حبيب الجهنى حدثنى أبو الرقاد قال: خرجت مع مولاى فدفعت إلى حذيفة وهو يقول: إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله ﷺ فيصير منافقًا، وإنى لأسمعها من أحدكم فى المقعد الواحد أربع مرات، لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتحاضن على الخير أو ليسحتنكم الله جميعًا بعذاب أو ليؤمرن عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم.

(حديث آخر): قال الإمام أحمد أيضًا [٤] حدثنى يحيى بن سعيد عن زكريا حدثنا عامر رضى الله عنه قال: سمعت النعمان بن بشير رضى الله عنه يخطب يقول: وأومأ بأصبعيه إلى أذنيه يقول: مثل القائم على حدود الله والواقع فيها والمدهن فيها كمثل قوم ركبوا سفينة فأصاب بعضهم أسفلها وأوعرها وشرها وأصاب بعضهم أعلاها فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا الماء مروا على من فوقهم فآذوهم فقالوا لو خرقنا فى نصيبنا خرقًا فاستقينا منه ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وأمرهم هلكوا جميعًا وإن أخذوا على أيديهم نجوا جميعا، انفرد بإخراجه البخارى [٥] دون مسلم فرواه فى الشركة والشهادات، والترمذى [٦] فى الفتن من غير وجه عن سليمان بن مهران الأعمش عن عامر بن شراحيل الشعبى، به.

(حديث آخر): قال الإمام أحمد [٧] حدثنا حسين حدثنا خلف بن خليفة عن ليث عن علقمة بن مرثد عن المعرور بن سويد عن أم سلمة زوج النبى ﷺ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول «إذا ظهرت المعاصى فى أمتى عمهم الله بعذاب من عنده» فقلت يا رسول الله: أما فيهم أناس صالحون؟ قال «بلى» قالت فكيف يصنع أولئك؟ قال «يصيبهم ما أصاب الناس ثم يصيرون إلى مغفرة من الله ورضوان».

عدي بن عدي حدث عن مجاهد قال: ثنا مولى لنا-، والأخرى: عن عدي بن عدي حدثني مولى لنا، وهو الصواب، وكذلك رواه الطبراني، وفيه رجل لم يسم، وقال الحافظ في الفتح (١٣/ ٤): أخرجه أحمد بسند حسن.

(١) حسن: أحمد (٢٢٧٩٠)، انظر صحيح الجامع الصغير.

(٢) حسن: أحمد (٢٢٨١٦)، من طريق أبي سعيد عن سليمان بن بلال.

(٣) أحمد (٢٢٨٠١) قال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٩٧): وفيه أبو الرقاد الجهنى لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

(٤) صحيح: أحمد (١٧٩٠٤).

(٥) البخاري (٢٤٩٣)، (٢٦٨٦).

(٦) الترمذي (٢١٧٣).

(٧) صحيح: المسند (٢٦٠٥٦).

(حديث آخر) : قال الإمام أحمد [١] حدثنا حجاج بن محمد حدثنا شريك عن أبى إسحاق عن المنذر بن جرير عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ «ما من قوم يعملون بالمعاصى وفيهم رجل أعز منهم وأمنع لا يغيرون إلا عمهم الله بعقاب أو أصابهم العقاب» ورواه أبو داود [٢] عن مسدد عن أبى الأحوص عن أبى إسحاق، به. وقال الإمام أحمد أيضًا: [٣] حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، سمعت أبا إسحاق يحدث عن عبيد الله بن جرير، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصى هم أعز وأكثر ممن يعمله ثم لم يغيروه إلا عمهم الله بعقاب»، ثم رواه أيضًا عن وكيع عن إسرائيل، وعن عبد الرزاق عن معمر وعن أسود عن شريك ويونس كلهم عن أبى إسحاق السبيعى، [٤] به وأخرجه ابن ماجه [٥] عن على بن محمد عن وكيع به، وقال الإمام أحمد: [٦] حدثنا سفيان حدثنا جامع بن أبى راشد عن منذر عن الحسن بن محمد عن امرأته عن عائشة تبلغ به النبى ﷺ «إذا ظهر السوء فى الأرض أنزل الله بأهل الأرض بأسه» فقالت: وفيهم أهل طاعة الله؟ قال: «نعم ثم يصيرون إلى رحمة الله».

﴿وَاذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾

ينبه تعالى عباده المؤمنين على نعمه عليهم، وإحسانه إليهم، حيث كانوا قليلين فكثرهم ومستضعفين خائفين فقواهم ونصرهم، وفقراء عالة فرزقهم من الطيبات واستشكرهم، فأطاعوه وامتثلوا جميع ما أمرهم. وهذا كان حال المؤمنين حال مقامهم بمكة قليلين مستخفين مضطرين يخافون أن يتخطفهم الناس من سائر بلاد الله من مشرك ومجوسى وورومى، كلهم أعداء لهم لقلتهم وعدم قوتهم، فلم يزل ذلك دأبهم حتى أذن الله لهم فى الهجرة إلى المدينة فآواهم إليها وقيض لهم أهلها آووا ونصروا يوم بدر وغيره، وآسوا بأموالهم وبذلوا مهجهم فى طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، قال قتادة بن دعامة السدوسى رحمه الله فى قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، قال: كان هذا الحى من العرب أذل الناس ذلاً، وأشقاه عيشًا، وأجوعه بطونًا، وأعراه جلودًا وأبينه ضلالاً [حجر بين الأسدين: فارس والروم ولا والله ما في بلادهم يومئذ من شيء يحسدون عليه]، من عاش منهم عاش شقيًا، ومن مات منهم ردى فى النار يؤكلون ولا يأكلون، والله ما نعلم قبيلا من حاضر أهل الأرض يومئذ كانوا أشر منزلا منهم حتى جاء الله بالإسلام فمكن به فى البلاد ووسع به فى الرزق وجعلهم به ملوكًا على رقاب الناس وبالإسلام أعطى الله ما رأيتم فاشكروا الله على نعمه فإن ربكم منعم يحب الشكر، وأهل الشكر فى مزيد من الله.

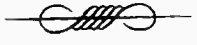

(١) صحيح: المسند (١٨٧١٠).
(٢) صحيح: أبو داود (٤٣٣٩).
(٣) صحيح: المسند (١٨٧٤٥).
(٤) صحيح: المسند (١٨٧٦٨).
(٥) حسن: ابن ماجه (٤٠٠٩).
(٦) صحيح: المسند (٢٣٦١٣).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾

قال عبد الله بن أبي قتادة والزهري: [١] أنزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر حين بعثه رسول الله ﷺ إلى بني قريظة لينزلوا على حكم رسول الله ﷺ فاستشاروه في ذلك فأشار عليهم بذلك وأشار بيده إلى حلقه، أي إنه الذبح، ثم فطن أبو لبابة ورأى أنه قد خان الله ورسوله، فحلف لا يذوق نواقًا حتى يموت أو يتوب الله عليه، وانطلق إلى مسجد المدينة فربط نفسه في سارية منه، فمكث كذلك تسعة أيام حتى كان يخر مغشيًا عليه من الجهد حتى أنزل الله توبته على رسوله، فجاء الناس يبشرونه بتوبة الله عليه، وأرادوا أن يحلوه من السارية، فحلف لا يحله منها إلا رسول الله ﷺ بيده، فحله، فقال: يا رسول الله: إني كنت نذرت أن أنخلع من مالي صدقة، فقال «يجزيك الثلث أن تصدق به».

وقال ابن جرير: [٢] حدثني الحارث حدثنا عبد العزيز حدثنا يونس بن الحارث الطائفي حدثنا محمد بن عبيد الله أبو عون الثقفي عن المغيرة بن شعبة قال: نزلت هذه الآية في قتل عثمان، رضي الله عنه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ الآية.

وقال ابن جرير أيضًا: [٣] حدثنا القاسم بن بشر بن معروف حدثنا شبابة بن سوار حدثنا محمد بن المحرم قال لقيت عطاء بن أبي رباح فحدثني قال: حدثني جابر بن عبد الله أن أبا سفيان خرج من مكة فأتى جبريل رسول الله ﷺ فقال: إن أبا سفيان بمكان كذا وكذا، فقال النبي ﷺ لأصحابه «إن أبا سفيان في موضع كذا وكذا فاخرجوا إليه واكتموا» فكتب رجل من المنافقين إليه: إن محمدًا يريدكم فخذوا حذركم فأنزل الله عز وجل ﴿لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ﴾ الآية، هذا حديث غريب جدًا، وفي سنده وسياقه نظر، وفي الصحيحين [٤] قصة حاطب بن أبي بلتعة أنه كتب إلى قريش يعلمهم بقصد رسول الله ﷺ إياهم عام الفتح، فأطلع الله رسوله على ذلك، فبعث في إثر الكتاب فاسترجعه واستحضر حاطبًا فأقر بما صنع، فقام عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله ألا أضرب عنقه، فإنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين؟ فقال: «دعه فإنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».

قلت: والصحيح أن الآية عامة، وإن صح أنها وردت على سبب خاص، فالأخذ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب عند الجماهير من العلماء. والخيانة تعم الذنوب الصغار والكبار اللازمة والمتعدية. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ﴾ الأمانة: الأعمال التي ائتمن الله عليها العباد، يعني الفريضة. يقول: ﴿لَا تَخُونُواْ﴾ لا تنقضوها. وقال في رواية: ﴿لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾، يقول بترك سنته وارتكاب معصيته.

وقال محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير في هذه الآية، أي لا تظهروا له من الحق ما يرضى به منكم، ثم تخالفوه في السر إلى غيره، فإن ذلك هلاك لأماناتكم،

---

(١) رواه ابن جرير في تفسيره (٩/ ٢٢١- ٢٢٢). (٢) رواه ابن جرير في تفسيره (٩/ ٢٢٢).
(٣) رواه ابن جرير في تفسيره (٩/ ٢٢١). (٤) البخاري برقم (٣٠٠٧)، مسلم (٢٤٩٤).

وخيانة لأنفسكم. وقال السدى: إذا خانوا الله والرسول فقد خانوا أماناتهم، وقال أيضًا: كانوا يسمعون من النبى ﷺ الحديث فيفشونه حتى يبلغ المشركين، وقال عبد الرحمن بن زيد: نهاكم أن تخونوا الله والرسول كما صنع المنافقون، وقوله ﴿وَاعْلَمُوٓا أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾، أى اختبار وامتحان منه لكم إذ أعطاكموها ليعلم أتشكرونه عليها وتطيعونه فيها أو تشتغلون بها عنه وتعتاضون بها منه كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن: ١٥] وقال ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤] الآية، وقوله ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ أى ثوابه وعطاؤه وجناته خير لكم من الأموال والأولاد، فإنه قد يوجد منهم عدو، وأكثرهم لا يغنى عنك شيئًا، والله سبحانه هو المتصرف المالك للدنيا والآخرة ولديه الثواب الجزيل يوم القيامة. وفى الأثر يقول الله تعالى: يا ابن آدم، اطلبنى تجدنى، فإن وجدتنى وجدت كل شىء، وإن فتك فاتك كل شىء، وأنا أحب إليك من كل شىء. وفى الصحيح [١] عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ثلاث من كن فيه، وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله، ومن كان أن يلقى فى النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه» ، بل حب رسول الله ﷺ مقدم على الأولاد والأموال والنفوس، كما ثبت فى الصحيح [٢] أنه ﷺ قال: «والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وأهله وماله والناس أجمعين».

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾

قال ابن عباس والسدى ومجاهد وعكرمة والضحاك وقتادة ومقاتل بن حيان ﴿فُرْقَانًا﴾ مخرجًا، زاد مجاهد: فى الدنيا والآخرة، وفى رواية عن ابن عباس ﴿فُرْقَانًا﴾ نجاة، وفى رواية عنه نصرًا، وقال محمد بن إسحاق ﴿فُرْقَانًا﴾ أى فصلا بين الحق والباطل وهذا التفسير من ابن إسحاق أعم مما تقدم وهو يستلزم ذلك كله، فإن من اتقى الله بفعل أوامره وترك زواجره وفق لمعرفة الحق من الباطل، فكان ذلك سبب نصره ونجاته ومخرجه من أمور الدنيا وسعادته يوم القيامة وتكفير ذنوبه وهو محوها، وغفرها وسترها عن الناس سببًا لنيل ثواب الله الجزيل كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨].

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ ليقيدوك، وقال عطاء وابن زيد: ليحبسوك، وقال

(١) البخاري (١٦)، مسلم (٤٣) من حديث أنس بن مالك.
(٢) البخاري (١٥)، مسلم (٤٤) من حديث أنس بن مالك.

السدى: الإثبات هو الحبس والوثاق، وهذا يشمل ما قاله هؤلاء وهؤلاء وهو مجمع الأقوال، وهو الغالب من صنيع من أراد غيره بسوء، وقال سنيد عن حجاج عن ابن جريج: قال عطاء: سمعت عبيد بن عمير يقول: لما ائتمروا بالنبى ﷺ ليثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه. قال له عمه أبو طالب: هل تدرى ما ائتمروا بك؟ قال: «يريدون أن يسحروني أو يقتلونى أو يخرجوني». فقال: من أخبرك بهذا؟ قال «ربي» قال: نعم الرب ربك استوص به خيرًا. قال «أنا استوصى به، بل هو يستوصى بي» [(١)].

وقال أبو جعفر بن جرير: [(٢)] حدثنى محمد بن إسماعيل البصرى المعروف بالوساوسى، أخبرنا عبد الحميد بن أبى روَّاد عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن المطلب بن أبى وداعة أن أبا طالب قال لرسول الله ﷺ: ما يأتمر بك قومك؟ قال «يريدون أن يسحروني أو يقتلونى أو يخرجوني». فقال: من أخبرك بهذا؟ قال «ربي». قال: نعم الرب ربك فاستوص به خيرًا. قال «أنا استوصى به، بل هو يستوصى بي». قال: فنزلت ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ الآية. وذِكْرُ أبى طالب فى هذا غريب جدًا، بل منكر، لأن هذه الآية مدنية، ثم إن هذه القصة واجتماع قريش على هذا الائتمار والمشاورة على الإثبات أو النفى أو القتل إنما كان ليلة الهجرة سواء، وكان ذلك بعد موت أبى طالب بنحو من ثلاث سنين لما تمكنوا منه واجترؤوا عليه بسبب موت عمه أبى طالب الذى كان يحوطه وينصره ويقوم بأعبائه، والدليل على صحة ما قلنا ما روى الإمام محمد بن إسحاق بن يسار صاحب المغازى [(٣)] عن عبد الله بن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال: وحدثنى الكلبى عن باذان مولى أم هانىء عن ابن عباس أن نفرًا من قريش من أشراف كل قبيلة اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة فاعترضهم إبليس فى صورة شيخ جليل فلما رأوه قالوا له من أنت؟ قال شيخ من أهل نجد، سمعت أنكم اجتمعتم فأردت أن أحضركم ولن يعدمكم رأيى ونصحى. قالوا: أجل، ادخل، فدخل معهم، فقال: انظروا فى شأن هذا الرجل، والله ليوشكن أن يواثبكم فى أمركم بأمره. قال: فقال قائل منهم: احبسوه فى وثاق ثم تربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء زهير والنابغة إنما هو كأحدهم. قال: فصرخ عدو الله الشيخ النجدى فقال: والله ما هذا لكم برأى والله ليخرجنه ربه من محبسه إلى أصحابه فليوشكن أن يثبوا عليه حتى يأخذوه من أيديكم فيمنعوه منكم، فما آمن عليكم أن يخرجوكم من بلادكم، قال: فانظروا فى غير هذا. قال: فقال قائل منهم: أخرجوه من بين أظهركم فتستريحوا منه فإنه إذا خرج لن يضركم ما صنع وأين وقع إذا غاب عنكم أذاه واسترحتم وكان أمره فى غيركم. فقال الشيخ النجدى: والله ما هذا لكم برأى ألم تروا حلاوة قوله وطلاقة لسانه. وأخذ القلوب ما تسمع من حديثه؟ والله لئن فعلتم ثم استعرض العرب ليجتمعن عليه ثم ليأتين إليكم حتى يخرجكم من بلادكم ويقتل أشرافكم. قالوا: صدق والله، فانظروا بابًا غير هذا. قال: فقال أبو جهل لعنه الله، والله لأشيرن عليكم برأى ما أركم أبصرتموه بعد، لا أرى غيره. قالوا: وما هو؟ قال: تأخذون من كل قبيلة غلاما شابًا وسيطًا نهدًا، ثم يعطى كل غلام منهم سيفًا صارمًا، ثم يضربونه ضربة رجل واحد، فإذا قتلوه تفرق دمه فى القبائل كلها، فما أظن هذا الحى من بنى هاشم يقوون على حرب قريش كلها.

---

(١) رواه ابن جرير في تفسيره (٩/ ٢٢٧).
(٢) منكر: ابن جرير في تفسيره (٩/ ٢٢٧).
(٣) رواه ابن جرير في تفسيره (٩/ ٢٢٧). عن محمد بن إسحاق.

فإنهم إذا رأوا ذلك، قبلوا العقل واسترحنا وقطعنا عنا أذاه. قال: فقال الشيخ النجدى: هذا والله الرأى، القول ما قال الفتى، لا رأي غيره.

قال: فتفرقوا على ذلك وهم مجمعون له. فأتى جبريل النبى ﷺ فأمره أن لا يبيت فى مضجعه الذى كان يبيت فيه وأخبره بمكر القوم فلم يبت رسول الله ﷺ فى بيته تلك الليلة وأذن الله له عند ذلك بالخروج وأنزل الله عليه بعد قدومه المدينة الأنفال يذكر نعمه عليه وبلاءه عنده ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ وأنزل فى قولهم تربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء، ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠] فكان ذلك اليوم يسمى يوم الزحمة للذى اجتمعوا عليه من الرأى، وعن السدى نحو هذا السياق وأنزل الله فى إرادتهم إخراجه قوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٦] وكذا روى العوفى عن ابن عباس، وروى عن مجاهد وعروة بن الزبير وموسى بن عقبة وقتادة ومقسم وغير واحد نحو ذلك، وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق فأقام رسول الله ﷺ ينتظر أمر الله حتى إذا اجتمعت قريش فمكرت به وأرادوا به ما أرادوا أتاه جبريل عليه السلام فأمره أن لا يبيت فى مكانه الذى كان يبيت فيه فدعا رسول الله ﷺ على بن أبى طالب فأمره أن يبيت على فراشه ويتسجى ببرد له أخضر ففعل ثم خرج رسول الله ﷺ على القوم وهم على بابه، وخرج معه بحفنة من تراب فجعل يذرها على رؤوسهم وأخذ الله أبصارهم عن نبيه محمد ﷺ وهو يقرأ ﴿يٰسٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يس: ١-٢]، إلى قوله: ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٩].

وقال الحافظ أبو بكر البيهقى: روى عن عكرمة ما يؤكد هذا، وقد روى ابن حبان فى صحيحه والحاكم فى مستدركه [١] من حديث عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، قال: دخلت فاطمة على رسول الله ﷺ وهى تبكى فقال: «ما يبكيك يا بنية؟» قالت يا أبت ومالى لا أبكى وهؤلاء الملأ من قريش فى الحجر يتعاقدون باللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى لو قد رأوك لقاموا إليك فيقتلونك وليس منهم إلا من قد عرف نصيبه من دمك، فقال: «يا بنية ائتنى بوضوء» فتوضأ رسول الله ﷺ ثم خرج إلى المسجد فلما رأوه قالوا: ها هو ذا فطاطئوا رءوسهم وسقطت رقابهم بين أيديهم فلم يرفعوا أبصارهم فتناول رسول الله ﷺ قبضة من تراب فحصبهم بها وقال: «شاهت الوجوه» فما أصاب رجلا منهم حصاة من حصياته إلا قتل يوم بدر كافرًا، ثم قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ولا أعرف له علة.

وقال الإمام أحمد: [٢] حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر أخبرنى عثمان الجزرى، عن مقسم مولى ابن عباس أخبره ابن عباس فى قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ﴾ قال: تشاورت قريش ليلة بمكة فقال بعضهم: إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق يريدون النبى ﷺ، وقال بعضهم بل اقتلوه.

وقال بعضهم: بل أخرجوه فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك فبات على رضى الله عنه على فراش

(١) صحيح: ابن حبان (١٤/ ٤٣٠)، برقم (٦٥٠٢)، والحاكم (١/ ٢٦٨)، برقم (٥٨٣).

(٢) المسند (٣٢٤١). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٧): فيه عثمان بن عمرو الجزرى، وثقه ابن حبان وضعفه غيره وبقية رجاله رجال الصحيح.

رسول الله ﷺ، وخرج النبى ﷺ حتى لحق بالغار وبات المشركون يحرسون عليًا يحسبونه النبى ﷺ، فلما أصبحوا ثاروا إليه فلما رأوا عليًا رد الله تعالى مكرهم فقالوا: أين صاحبك هذا؟ قال لا أدرى، فاقتصوا أثره فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم فصعدوا فى الجبل فمروا بالغار فرأوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا لو دخل ههنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه فمكث فيه ثلاث ليال، وقال محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير فى قوله ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ أى فمكرت بهم بكيدى المتين حتى خلصتك منهم.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝﴾

يخبر تعالى عن كفر قريش وعتوهم وتمردهم وعنادهم ودعواهم الباطل عند سماع آياته حين تتلى عليهم أنهم يقولون ﴿قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا﴾ وهذا منهم قول بلا فعل وإلا فقد تحدوا غير ما مرة أن يأتوا بسورة من مثله فلا يجدون إلى ذلك سبيلا وإنما هذا القول منهم يغرون به أنفسهم ومن تبعهم على باطلهم، وقد قيل إن القائل لذلك هو النضر بن الحارث لعنه الله كما قد نص على ذلك سعيد بن جبير والسدى وابن جريج وغيرهم فإنه لعنه الله كان قد ذهب إلى بلاد فارس وتعلم من أخبار ملوكهم رستم واسفنديار، ولما قدم وجد رسول الله ﷺ قد بعثه الله وهو يتلو على الناس القرآن فكان إذا قام عليه الصلاة والسلام من مجلس جلس فيه النضر فيحدثهم من أخبار أولئك ثم يقول بالله أينا أحسن قصصًا أنا أو محمد؟ ولهذا لما أمكن الله تعالى منه يوم بدر ووقع فى الأسارى أمر رسول الله ﷺ أن تضرب رقبته صبرًا بين يديه ففعل ذلك، ولله الحمد وكان الذى أسره المقداد بن الأسود رضى الله عنه كما قال ابن جرير: (١) حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير قال قتل النبى ﷺ يوم بدر صبرًا عقبة بن أبى معيط وطعيمة بن عدى والنضر بن الحارث وكان المقداد أسر النضر فلما أمر بقتله قال المقداد يا رسول الله أسيرى فقال رسول الله ﷺ: «إنه كان يقول فى كتاب الله عز وجل ما يقول» فأمر رسول الله ﷺ بقتله فقال المقداد يا رسول الله أسيرى فقال رسول الله ﷺ «اللهم أغن المقداد من فضلك» فقال المقداد هذا الذى أردت، قال وفيه أنزلت هذه الآية ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝﴾ وكذا رواه هشيم (٢) عن أبى بشر جعفر بن أبى وحشيه عن سعيد بن جبير أنه قال المطعم بن عدى بدل طعيمة وهو غلط لأن المطعم بن عدى لم يكن حيًا يوم بدر، ولهذا قال رسول الله ﷺ يومئذ: «لو كان المطعم بن عدى حيًا ثم سألنى فى هؤلاء النتنى لوهبتهم له» (٣) يعنى الأسارى لأنه كان قد أجار رسول الله ﷺ يوم رجع من الطائف، ومعنى ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ وهو جمع

(١) صحيح: ابن جرير في تفسيره (٩/ ٢٣١). (٢) ابن جرير في تفسيره (٩/ ٢٣١).
(٣) البخاري برقم (٣١٣٩)، أحمد برقم (٢٧٥٤٦)، عن جبير بن مطعم.

أسطورة أى كتبهم اقتبسها فهو يتعلم منها ويتلوها على الناس وهذا هو الكذب البحت كما أخبر الله عنهم فى الآية الأخرى ﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٥-٦] أى لمن تاب إليه وأناب فإنه يتقبل منه ويصفح عنه، وقوله ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ هذا من كثرة جهلهم وعنادهم وعتوهم، وشدة تكذيبهم وهذا مما عيبوا به وكان الأولى لهم أن يقولوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له ووفقنا لاتباعه ولكن استفتحوا على أنفسهم واستعجلوا العذاب، وتقديم العقوبة كما قال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٣] ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ١٦] ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ [المعارج: ١-٣] وكذلك قال الجهلة من الأمم السالفة كما قال قوم شعيب له ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٧] وقال هؤلاء ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ قال شعبة عن عبد الحميد صاحب الزيادى عن أنس بن مالك قال هو أبو جهل بن هشام قال ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ فنزلت ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ رواه البخارى [1] عن أحمد ومحمد بن النضر كلاهما عن عبيد الله بن معاذ عن أبيه عن شعبة به، وأحمد هذا هو أحمد بن النضر بن عبد الوهاب قاله الحاكم أبو أحمد والحاكم أبو عبد الله النيسابورى، والله أعلم.

وقال الأعمش عن رجل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ قال هو النضر بن الحارث بن كلدة قال: فأنزل الله ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾ [المعارج: ١-٢] **وكذا قال** مجاهد وعطاء وسعيد بن جبير والسدى: إنه النضر بن الحارث، زاد عطاء فقال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ١٦] وقال ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾ [الأنعام: ٩٤] وقال ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [المعارج: ١-٢] قال عطاء ولقد أنزل الله فيه بضع عشرة آية من كتاب الله عز وجل، وقال ابن مردويه حدثنا محمد بن إبراهيم حدثنا الحسن بن أحمد بن الليث حدثنا أبو غسان حدثنا أبو تميلة حدثنا الحسين عن ابن بريدة عن أبيه قال: رأيت عمرو بن العاص واقفًا يوم أحد على فرس وهو يقول: اللهم إن كان ما يقول محمد حقًا فاخسف بى وبفرسى. وقال قتادة فى قوله ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ الآية قال: قال ذلك سفهة هذه الأمة وجهلتها فعاد الله بعائدته ورحمته على سفهة هذه الأمة وجهلتها وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

قال ابن أبى حاتم [2]: حدثنا أبى حدثنا أبو حذيفة موسى بن مسعود حدثنا عكرمة بن أبي عمار عن أبى زميل سماك الحنفى عن ابن عباس قال كان المشركون يطوفون بالبيت ويقولون لبيك اللهم لبيك،

(١) البخاري برقم (٤٦٤٨).

(٢) ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ٩٠١٧).

لبيك لا شريك لك، فيقول النبى ﷺ: «قد، قد»، ويقولون: اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك. ويقولون غفرانك غفرانك فأنزل الله ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ قال ابن عباس كان فيهم أمانان: النبى ﷺ والاستغفار فذهب النبى ﷺ وبقى الاستغفار.

وقال ابن جرير: [١] حدثنى الحارث حدثنا عبد العزيز حدثنا أبو معشر عن يزيد بن رومان ومحمد بن قيس قالا: قالت قريش بعضها لبعض محمد أكرمه الله من بيننا ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ فلما أمسوا ندموا على ما قالوا فقالوا غفرانك اللهم. فأنزل الله ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ - إلى قوله - ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤] وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ يقول: ما كان الله ليعذب قوما وأنبياؤهم بين أظهرهم حتى يخرجهم ثم قال ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ يقول وفيهم من قد سبق له من الله الدخول فى الإيمان وهو الاستغفار ﴿يَسْتَغْفِرُونَ﴾ يعنى يصلون، يعنى بهذا أهل مكة وروى عن مجاهد وعكرمة وعطية والعوفى وسعيد بن جبير والسدى نحو ذلك. وقال الضحاك وأبو مالك ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ يعنى المؤمنين الذين كانوا بمكة.

وقال ابن أبى حاتم: حدثنا أبى حدثنا عبد الغفار بن داود حدثنا النضر بن أبي قال: قال ابن عباس: إن الله جعل فى هذه الأمة أمانين لا يزالون معصومين مجارين من قوارع العذاب ما داما بين أظهرهم، فأمان قبضه الله إليه وأمان بقى فيكم، قوله ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾. وقال أبو صالح عبد الغفار: حدثنى بعض أصحابنا أن النضر بن أبي حدثه هذا الحديث عن مجاهد عن ابن عباس. وروى ابن مردويه وابن جرير عن أبى موسى الأشعرى نحوًا من هذا. وكذا روى عن قتادة وأبى العلاء النحوى المقرى. وقال الترمذى [٢] حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا ابن نمير عن إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر عن عباد بن يوسف عن أبى بردة بن أبى موسى عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ «أنزل الله علىَّ أمانين لأمتى ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار إلى يوم القيامة». ويشهد لهذا ما رواه الإمام أحمد [٣] فى مسنده والحاكم فى مستدركه من حديث عبد الله بن وهب: أخبرنى عمرو بن الحارث عن دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد أن رسول الله ﷺ قال: «إن الشيطان قال وعزتك يا رب لا أبرح أغوى عبادك ما دامت أرواحهم فى أجسادهم. فقال الرب: وعزتى وجلالى لا أزال أغفر لهم ما استغفروني». ثم قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الإمام أحمد: [٤] حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا رشدين هو ابن سعد حدثنى معاوية بن سعد التجيبى عمن حدثه عن فضالة بن

(١) ابن جرير في تفسيره (٩/ ٢٣٥).

(٢) ضعيف: الترمذي (٣٠٨٢). في إسناده: إسماعيل بن مهاجر يضعف في الحديث وعباد بن يوسف مجهول.

(٣) حسن: المسند (٢٧٦٢٧)، الحاكم في مستدركه (٤/ ٢٩٠)، برقم (٧٦٧٢)، انظر: صحيح الجامع برقم (١٦٥٠).

(٤) ضعيف: المسند (٢٣٤٣٤)، في إسناده: رشيد بن سعد، وهو ضعيف الحديث.

عبيد عن النبى ﷺ أنه قال «العبد آمن من عذاب الله ما استغفر الله عز وجل» .

﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾

يخبر تعالى أنهم أهل لأن يعذبهم، ولكن لم يوقع ذلك بهم لبركة مقام الرسول ﷺ بين أظهرهم، ولهذا لما خرج من بين أظهرهم أوقع الله بهم بأسه يوم بدر، فقتل صناديدهم وأسر سراتهم وأرشدهم تعالى إلى الاستغفار من الذنوب التى هم متلبسون بها من الشرك والفساد. وقال قتادة والسدى وغيرهما: لم يكن القوم يستغفرون، ولو كانوا يستغفرون ما عذبوا. واختاره ابن جرير، فلولا ما كان بين أظهرهم من المستضعفين من المؤمنين المستغفرين لوقع بهم البأس الذى لا يرد، ولكن دفع عنهم بسبب أولئك، كما قال تعالى فى يوم الحديبية ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٥].

قال ابن جرير: (١) حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب عن جعفر بن أبى المغيرة عن ابن أبزى قال: كان النبى ﷺ بمكة فأنزل الله ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾، قال: فخرج النبى ﷺ إلى المدينة فأنزل الله ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، قال: وكان أولئك البقية من المسلمين الذين بقوا فيها ﴿يَسْتَغْفِرُونَ﴾ يعنى بمكة، فلما خرجوا أنزل الله ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾، قال: فأذن الله فى فتح مكة فهو العذاب الذى وعدهم. وروى عن ابن عباس وأبى مالك والضحاك وغير واحد نحو هذا، وقد قيل: إن هذه الآية ناسخة لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، على أن يكون المراد صدور الاستغفار منهم أنفسهم. قال ابن جرير: (٢) حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح عن الحسين بن واقد عن يزيد النحوى عن عكرمة والحسن البصرى قالا: قال فى الأنفال ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]، فنسختها الآية التى تليها ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ - إلى قوله - ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾، فقوتلوا بمكة فأصابهم فيها الجوع والضر، وكذا رواه ابن أبى حاتم من حديث أبى نميلة يحيى بن واضح.

وقال ابن أبى حاتم: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا حجاج بن محمد عن ابن جريج وعثمان بن عطاء عن عطاء عن ابن عباس ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣] ثم استثنى أهل الشرك فقال ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ - وقوله - ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ أى وكيف لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام أى الذى بمكة يصدون المؤمنين الذين هم أهله عن الصلاة عنده والطواف به، ولهذا قال: ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ

(١) ابن جرير في تفسيره (٩/ ٢٣٤).
(٢) ابن جرير في تفسيره (٩/ ٢٣٨).

أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ أى هم ليسوا أهل المسجد الحرام وإنما أهله النبى ﷺ وأصحابه كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٧-١٨]، وقال تعالى: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ الآية [البقرة: ٢١٧].

وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه فى تفسير هذه الآية: حدثنا سليمان بن أحمد هو الطبرانى، حدثنا جعفر بن إلياس بن صدقة المصرى، حدثنا نعيم بن حماد، حدثنا نوح بن أبى مريم عن يحيى بن سعيد الأنصارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ من آلك؟ قال: «كل تقي» وتلا رسول الله ﷺ ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ (١).

وقال الحاكم فى مستدركه: (٢) حدثنا أبو بكر الشافعى، حدثنا إسحاق بن الحسن، حدثنا أبو حذيفة، حدثنا سفيان عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن إسماعيل بن عبيد بن رفاعة عن أبيه عن جده قال: جمع رسول الله ﷺ قريشًا فقال: «هل فيكم من غيركم؟» فقالوا فينا ابن أختنا وفينا حليفنا وفينا مولانا فقال: «حليفنا منا وابن أختنا منا ومولانا منا إن أولياءى منكم المتقون» ثم قال: هذا صحيح ولم يخرجاه، وقال عروة والسدى ومحمد بن إسحاق فى قوله تعالى: ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ قال هم محمد ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم.

وقال مجاهد: هم المجاهدون من كانوا وحيث كانوا، ثم ذكر تعالى ما كانوا يعتمدونه عند المسجد الحرام، وما كانوا يعاملونه به، فقال: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾، قال عبد الله بن عمرو وابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو رجاء العطاردى ومحمد بن كعب القرظى وحجر بن عنبس ونبيط بن شريط وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هو الصفير، وزاد مجاهد وكانوا يدخلون أصابعهم فى أفواههم، وقال السدى: المكاء الصفير على نحو طير أبيض يقال له المكاء ويكون بأرض الحجاز ﴿وَتَصْدِيَةً﴾: التصفيق. قال ابن أبى حاتم: حدثنا أبو خلاد سليمان بن خلاد، حدثنا يونس بن محمد المؤدب، حدثنا يعقوب يعنى ابن عبد الله الأشعرى، حدثنا جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾، قال: كانت قريش تطوف بالكعبة عراة تصفر وتصفق، والمكاء الصفير وإنما شبهوا بصفير الطير وتصدية: التصفيق، وهكذا روى على بن أبى طلحة، والعوفى عن ابن عباس، وكذا روى عن ابن عمر ومجاهد ومحمد بن كعب وأبى سلمة بن عبد الرحمن والضحاك وقتادة وعطية العوفى وحجر بن عنبس وابن أبزى نحو هذا.

وقال ابن جرير: (٣) حدثنا ابن بشار حدثنا أبو عامر حدثنا قرة عن عطية عن ابن عمر فى وقوله: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ قال: المكاء: التصفير، والتصدية: التصفيق،

---

(١) ضعيف: أخرجه الطبراني في الأوسط (٣/ ٣٣٨)، برقم (٣٣٣٢)، وفي الصغير (١/ ١٩٩)، برقم (٣١٨)، قال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٦٩): رواه الطبراني في الصغير والأوسط، وفيه: نوح بن أبي مريم وهو ضعيف.
(٢) صحيح: الحاكم (٢/ ٣٥٨)، برقم (٣٢٦٦). (٣) ابن جرير في تفسيره (٩/ ٢٤١).

قال قرة: وحكى لنا عطية فعل ابن عمر فصفر ابن عمر وأمال خده وصفق بيديه، وعن ابن عمر أيضًا أنه قال: إنهم كانوا يضعون خدودهم على الأرض ويصفقون ويصفرون رواه ابن أبى حاتم فى تفسيره بسنده عنه.

وقال عكرمة: كانوا يطوفون بالبيت على الشمال، قال مجاهد: وإنما كانوا يصنعون ذلك ليخلطوا بذلك على النبى ﷺ صلاته، وقال الزهرى يستهزئون بالمؤمنين، وعن سعيد بن جبير وعبد الرحمن بن زيد ﴿وَتَصْدِيَةً﴾ قال صدهم الناس عن سبيل الله عز وجل. قوله ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾، قال الضحاك وابن جريج ومحمد بن إسحاق: هو ما أصابهم يوم بدر من القتل والسبى، واختاره ابن جرير ولم يحك غيره، وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا ابن أبى عمر حدثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال: عذاب أهل الإقرار بالسيف وعذاب أهل التكذيب بالصيحة والزلزلة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ۝٣٦ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝٣٧﴾

قال محمد بن إسحاق: حدثنى الزهرى ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ قالوا لما أصيبت قريش يوم بدر ورجع فَلُّهم إلى مكة ورجع أبو سفيان بعيره مشى عبد الله بن أبى ربيعة وعكرمة بن أبى جهل وصفوان بن أمية فى رجال من قريش أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له فى تلك العير من قريش تجارة، فقالوا يا معشر قريش إن محمدًا قد وتركم وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا أن ندرك منه ثأرًا بمن أصيب منا ففعلوا، قال ففيهم كما ذكر عن ابن عباس أنزل الله عز وجل ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ - إلى قوله - ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾، وكذا روى عن مجاهد وسعيد بن جبير والحكم بن عتيبة وقتادة والسدى وابن أبزى أنها نزلت فى أبى سفيان ونفقته الأموال فى أحد لقتال رسول الله ﷺ.

وقال الضحاك: نزلت فى أهل بدر وعلى كل تقدير فهى عامة، وإن كان سبب نزولها خاصًا فقد أخبر تعالى أن الكفار ينفقون أموالهم ليصدوا عن اتباع طريق الحق فسيفعلون ذلك ثم تذهب أموالهم ﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ أى ندامة حيث لم تجد شيئًا لأنهم أرادوا إطفاء نور الله وظهور كلمتهم على كلمة الحق والله متم نوره ولو كره الكافرون وناصر دينه ومعلن كلمته ومظهر دينه على كل دين فهذا الخزى لهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب النار فمن عاش منهم رأى بعينه وسمع بأذنه ما يسوءه، ومن قتل منهم أو مات فإلى الخزى الأبدى والعذاب السرمدى، ولهذا قال: ﴿فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ فيميز أهل السعادة من أهل الشقاء، وقال السدى: يميز المؤمن من الكافر، وهذا يحتمل أن يكون هذا التمييز فى

الآخرة كقوله: ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ الآية [يونس: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ [الروم: ١٤].

وقال في الآية الأخرى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الروم: ٤٣] وقال تعالى: ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ [يس: ٥٩] ويحتمل أن يكون هذا التمييز في الدنيا بما يظهر من أعمالهم للمؤمنين، وتكون اللام معللة لما جعل الله للكفار من مال ينفقونه في الصد عن سبيل الله أي إنما أقدرناهم على ذلك ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ أي من يطيعه بقتال أعدائه الكافرين، أو يعصيه بالنكول عن ذلك كقوله: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ﴾ الآية [آل عمران: ١٦٦-١٦٧].

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ الآية [آل عمران: ١٧٩]، وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢] ونظيرها في براءة أيضًا فمعنى الآية على هذا إنما ابتليناكم بالكفار يقاتلونكم وأقدرناهم على إنفاق الأموال وبذلها في ذلك ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ﴾ أي يجمعه كله وهو جمع الشيء بعضه على بعض كما قال تعالى في السحاب ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا﴾ [النور: ٤٣] أي متراكما متراكبًا ﴿فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ أي هؤلاء هم الخاسرون في الدنيا والآخرة.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا﴾ أي عما هم فيه من الكفر والمشاقة والعناد ويدخلوا في الإسلام والطاعة والإنابة ﴿يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ أي من كفرهم، وذنوبهم وخطاياهم كما جاء في الصحيح [1] من حديث أبي وائل عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية، ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر» وفي الصحيح [2] أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: الإسلام يجب ما قبله والتوبة تجب ما كان قبلها» وقوله ﴿وَإِن يَعُودُوا﴾ أي يستمروا على ما هم فيه ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي فقد مضت سنتنا في الأولين أنهم إذا كذبوا واستمروا على عنادهم أنا نعاجلهم بالعذاب والعقوبة.

قال مجاهد في قوله ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي في قريش يوم بدر وغيرها من الأمم، وقال السدي ومحمد بن إسحاق أي يوم بدر.

وقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ قال البخاري [3] حدثنا

(١) البخاري برقم (٦٩٢١)، مسلم (١٢٠). (٢) أخرجه مسلم (١٢١)، بلفظ: «الإسلام يهدم ما كان قبله..». (٣) البخاري (٤٦٥٠).

الحسن ابن عبد العزيز حدثنا عبد الله بن يحيى حدثنا حيوة بن شريح عن بكر بن عمرو عن بكير عن نافع عن ابن عمر أن رجلا جاءه فقال: يا أبا عبد الرحمن ألا تسمع ما ذكر الله فى كتابه ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [الحجرات: ٩] الآية فما يمنعك أن لا تقاتل كما ذكر الله فى كتابه؟ فقال: يا ابن أخى أعيِّر بهذه الآية، ولا أقاتل أحب إلى من أن أعير بالآية التى يقول الله عز وجل ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ إلى آخر الآية [النساء: ٩٣] قال: فإن الله تعالى يقول ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ قال ابن عمر قد فعلنا على عهد رسول الله ﷺ إذ كان الإسلام قليلا وكان الرجل يفتن فى دينه إما أن يقتلوه وإما أن يوثقوه حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة، فلما رأى أنه لا يوافقه فيما يريد قال فما قولكم فى على وعثمان؟ قال ابن عمر أما قولى فى على وعثمان: أما عثمان فكان الله قد عفا عنه وكرهتم أن يعفو الله عنه، وأما على فابن عم رسول الله ﷺ وختنه وأشار بيده وهذه ابنته أو بنته حيث ترون.

وحدثنا أحمد بن يونس [1] حدثنا زهير حدثنا بيان أن ابن وبرة حدثه قال حدثنى سعيد بن جبير قال: خرج علينا أو إلينا ابن عمر رضى الله عنهما فقال رجل: كيف ترى فى قتال الفتنة؟ فقال: وهل تدرى ما الفتنة؟ كان محمد ﷺ يقاتل المشركين وكان الدخول عليهم فتنة، وليس بقتالكم على الملك. هذا كله سياق البخاري رحمه الله تعالى، وقال عبيد الله عن نافع عن ابن عمر أنه أتاه رجلان فى فتنة ابن الزبير فقالا: إن الناس قد صنعوا ما ترى وأنت ابن عمر بن الخطاب وأنت صاحب رسول الله ﷺ فما يمنعك أن تخرج؟ قال يمنعنى أن الله حرم علىَّ دم أخي المسلم. قالوا أو لم يقل الله ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾؟ قال قد قاتلنا حتى لم تكن فتنة وكان الدين كله لله، وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة ويكون الدين لغير الله.

وكذا رواه حماد بن سلمة عن على بن زيد عن أيوب بن عبد الله اللخمى، قال كنت عند عبد الله بن عمر رضى الله عنهما، فأتاه رجل فقال: إن الله يقول ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾.

فقال ابن عمر: قاتلت أنا وأصحابى حتى كان الدين كله لله، وذهب الشرك ولم تكن فتنة، ولكنك وأصحابك تقاتلون حتى تكون فتنة ويكون الدين لغير الله، رواهما ابن مردويه.

وقال أبو عوانة: عن الأعمش عن إبراهيم التيمى عن أبيه، قال: قال ذو البطين، يعنى أسامة بن زيد: لا أقاتل رجلا يقول لا إله إلا الله أبدًا. قال: فقال سعد بن مالك: وأنا والله لا أقاتل رجلا يقول لا إله إلا الله أبدًا، فقال رجل ألم يقل الله ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾؟ فقالا: قد قاتلنا حتى لم تكن فتنة وكان الدين كله لله. رواه ابن مردويه.

وقال الضحاك عن ابن عباس ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾، يعنى لا يكون شرك.

وكذا قال أبو العالية ومجاهد والحسن وقتادة والربيع بن أنس والسدى ومقاتل بن حيان وزيد بن أسلم.

وقال محمد بن إسحاق: بلغنى عن الزهرى عن عروة بن الزبير، وغيره من علمائنا، ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ حتى لا يفتن مسلم عن دينه.

(١) البخاري برقم (٤٦٥١).

وقوله ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ قال الضحاك: عن ابن عباس في هذه الآية، قال يخلص التوحيد لله.

وقال الحسن وقتادة وابن جريج ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ أن يقال لا إله إلا الله، وقال محمد بن إسحاق: ويكون التوحيد خالصًا لله، ليس فيه شرك، ويخلع ما دونه من الأنداد.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾، لا يكون مع دينكم كفر، ويشهد لهذا ما ثبت في الصحيحين [١] عن رسول الله ﷺ أنه قال «أمرت أن أقاتل الناس، حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحقها، وحسابهم على الله عز وجل» وفي الصحيحين [٢] عن أبي موسى الأشعري قال: سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، أي ذلك في سبيل الله عز وجل؟ فقال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله عز وجل».

وقوله ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا﴾ أي بقتالكم عما هم فيه من الكفر فكفوا عنه، وإن لم تعلموا بواطنهم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، كقوله ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ الآية [التوبة: ٥]، وفي الآية الأخرى ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١١]، وقال ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣] وفي الصحيح: [٣] أن رسول الله ﷺ قال لأسامة، لما علا ذلك الرجل بالسيف، فقال لا إله إلا الله فضربه فقتله، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال لأسامة: «أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟ وكيف تصنع بلا إله إلا الله يوم القيامة؟ فقال يا رسول الله، إنما قالها تعوذًا، قال «هلا شققت عن قلبه؟» وجعل يقول ويكرر عليه، «من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة؟» قال أسامة حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت إلا ذلك اليوم، وقوله ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾، أي وإن استمروا على خلافكم ومحاربتكم فاعلموا أن الله مولاكم، وسيدكم وناصركم على أعدائكم فنعم المولى ونعم النصير.

وقال محمد بن جرير [٤] حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد حدثنا أبي حدثنا أبان العطار حدثنا هشام بن عروة عن عروة أن عبد الملك بن مروان كتب إليه يسأله عن أشياء فكتب إليه عروة: سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد فإنك كتبت إلي تسألني، عن مخرج رسول الله ﷺ من مكة، وسأخبرك به، ولا حول ولا قوة إلا بالله، كان من شأن خروج رسول الله ﷺ من مكة، أن الله أعطاه النبوة، فنعم النبي ونعم السيد ونعم العشيرة، فجزاه الله خيرًا، وعرفنا وجهه في الجنة، وأحيانًا على ملته وأماتنا عليها وبعثنا عليها، وأنه لما دعا قومه لما بعثه الله به من الهدى والنور الذي أنزل عليه لم يبعدوا منه أول ما دعاهم إليه، وكانوا يسمعون له، حتى إذا ذكر طواغيتهم، وقدم ناس من الطائف من قريش لهم أموال، أنكر ذلك عليه ناس واشتدوا عليه، وكرهوا ما قال وأغروا به من أطاعهم، فانصفق عنه عامة الناس، فتركوه إلا من حفظه الله منهم، وهم قليل فمكث بذلك ما قدر الله

---

(١) البخاري برقم (٢٥)، مسلم برقم (٢٢). عن ابن عمر رضي الله عنهما.
(٢) البخاري برقم (٢٨١٠)، مسلم برقم (١٩٠٤). (٣) البخاري برقم (٤٢٦٩)، مسلم (٩٦).
(٤) ابن جرير في تفسيره (٩/ ٢٤٩).

أن يمكث، ثم ائتمرت رؤوسهم بأن يفتنوا من اتبعه عن دين الله من أبنائهم وإخوانهم وقبائلهم، فكانت فتنة شديدة الزلزال، فافتتن من افتتن وعصم الله من شاء منهم، فلما فُعِل ذلك بالمسلمين، أمرهم رسول الله ﷺ أن يخرجوا إلى أرض الحبشة، وكان بالحبشة ملك صالح، يقال له النجاشى، لا يظلم أحد بأرضه، وكان يثنى عليه مع ذلك، وكانت أرض الحبشة متجرًا لقريش يتجرون فيها، وكانت مسكنًا لتجارهم يجدون فيها رفاغًا من الرزق، وأمنًا ومتجرًا حسنًا، فأمرهم بها النبى ﷺ، فذهب إليها عامتهم لما قهروا بمكة، وخاف عليهم الفتن، ومكث هو فلم يبرح، فمكث بذلك سنوات يشتدون على من أسلم منهم، ثم إنه فشا الإسلام فيها، ودخل فيه رجال من أشرافهم ومنعتهم، فلما رأوا ذلك استرخوا استرخاءة عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه، وكانت الفتنة الأولى هى التى أخرجت من خرج من أصحاب رسول الله ﷺ قبل أرض الحبشة مخافتها، وفرارًا مما كانوا فيه من الفتن والزلزال فلما استرخى عنهم ودخل فى الإسلام من دخل منهم تحدث باسترخائهم عنهم، فبلغ ذلك من كان بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله ﷺ أنه قد استرخى عمن كان منهم بمكة، وأنهم لا يفتنون، فرجعوا إلى مكة وكادوا يأمنون بها، وجعلوا يزدادون ويكثرون، وأنه أسلم من الأنصار بالمدينة ناس كثير، وفشا الإسلام بالمدينة وطفق أهل المدينة يأتون رسول الله ﷺ بمكة، فلما رأت قريش ذلك، تآمرت على أن يفتنوهم ويشتدوا، فأخذوهم فحرصوا على أن يفتنوهم، فأصابهم جهد شديد، فكانت الفتنة الأخيرة، فكانت فتنتان: فتنة أخرجت من خرج منهم إلى أرض الحبشة حين أمرهم النبى ﷺ بها، وأذن لهم فى الخروج إليها، وفتنة: لما رجعوا ورأوا من يأتيهم من أهل المدينة، ثم إنه جاء رسول الله ﷺ من المدينة سبعون نقيبًا، رؤوس الذين أسلموا، فوافوه بالحج فبايعوه بالعقبة، وأعطوه عهودهم، على أنا منك وأنت منا، وعلى أن من جاء من أصحابك أو جئتنا فإنا نمنعك مما نمنع منه أنفسنا، فاشتدت عليهم قريش، عند ذلك، فأمر رسول الله ﷺ أصحابه، أن يخرجوا إلى المدينة، وهى الفتنة الآخرة التى أخرج فيها رسول الله ﷺ أصحابه، وخرج هو، وهى التى أنزل الله عز وجل فيها ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾، ثم رواه عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب، عن عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه، عن عروة بن الزبير، أنه كتب إلى الوليد يعنى ابن عبد الملك بن مروان بهذا، فذكر مثله، وهذا صحيح إلى عروة رحمه الله.

الجزء ١٠ الحزب ١٩

﴿۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾

يبين تعالى تفصيل ما شرعه مخصصًا لهذه الأمة الشريفة، من بين سائر الأمم المتقدمة من إحلال المغانم. والغنيمة هى المال المأخوذ من الكفار، بإيجاف الخيل والركاب، والفيء ما أخذ منهم بغير ذلك، كالأموال التى يصالحون عليها أو يتوفون عنها، ولا وارث لهم، والجزية والخراج ونحو ذلك، هذا مذهب الإمام الشافعى فى طائفة من علماء السلف والخلف. ومن العلماء من يطلق الفيء على ما تطلق عليه الغنيمة، والغنيمة على الفيء أيضًا، ولهذا ذهب قتادة إلى أن هذه الآية ناسخة لآية الحشر

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ الآية [الحشر: ٧]، قال فنسخت آية الأنفال تلك، وجعلت الغنائم أربعة أخماسها للمجاهدين، وخمسًا منها لهؤلاء المذكورين، وهذا الذى قاله بعيد، لأن هذه الآية نزلت بعد وقعة بدر، وتلك نزلت فى بنى النضير، ولا خلاف بين علماء السير والمغازى قاطبة، أن بنى النضير بعد بدر، وهذا أمر لا يشك فيه ولا يرتاب، فمن يفرق بين معنى الفىء والغنيمة، يقول تلك نزلت فى أموال الفىء، وهذه فى الغنائم، ومن يجعل أمر الغنائم والفىء راجعًا إلى رأى الإمام، يقول: لا منافاة بين آية الحشر وبين التخميس، إذا رآه الإمام والله أعلم. فقوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ توكيد لتخميس كل قليل وكثير حتى الخيط والمخيط، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦١].

وقوله ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ اختلف المفسرون ههنا، فقال بعضهم: لله نصيب من الخمس يجعل فى الكعبة. قال أبو جعفر الرازى، عن الربيع عن أبى العالية الرياحى، قال: كان رسول الله ﷺ، يؤتى بالغنيمة فيخمسها على خمسة، تكون أربعة أخماس لمن شهدها، ثم يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه، فيأخذ منه الذى قبض كفه فيجعله للكعبة وهو سهم الله، ثم يقسم ما بقى على خمسة أسهم فيكون سهم للرسول، وسهم لذوى القربى، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لابن السبيل [(١)].

وقال آخرون: ذكر الله ههنا استفتاح كلام للتبرك، وسهم لرسوله عليه السلام، قال الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما، كان رسول الله ﷺ إذا بعث سرية فغنموا خمس الغنيمة، فضرب ذلك الخمس فى خمسة، ثم قرأ ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾مفتاح كلام ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[البقرة: ٢٨٤] فجعل سهم الله وسهم الرسول ﷺ واحدًا، وهكذا قال إبراهيم النخعى والحسن بن محمد ابن الحنفية، والحسن البصرى والشعبى وعطاء بن أبى رباح، وعبد الله بن بريدة وقتادة ومغيرة وغير واحد، أن سهم الله ورسوله واحد. ويؤيد هذا ما رواه الإمام الحافظ أبو بكر البيهقى، [(٢)] بإسناد صحيح، عن عبد الله بن شقيق، عن رجل من بلقين، قال: أتيت النبى ﷺ وهو بوادى القرى، وهو يعرض فرسًا، فقلت يا رسول الله، ما تقول فى الغنيمة؟ فقال: «لله خمسها وأربعة أخماسها للجيش» قلت فما أحد أولى به من أحد؟ قال: «لا ولا السهم تستخرجه من جيبك ليس أنت أحق به من أخيك المسلم».

وقال ابن جرير: [(٣)] حدثنا عمران بن موسى، حدثنا عبد الوارث، حدثنا أبان عن الحسن، قال: أوصى أبو بكر بالخمس من ماله، وقال ألا أرضى من مالى بما رضى الله لنفسه، ثم اختلف قائلو هذا القول، فروى على بن أبى طلحة، عن ابن عباس قال: كانت الغنيمة تخمس على خمسة أخماس، فأربعة منها بين من قاتل عليها، وخمس واحد يقسم على أربعة أخماس، فربع لله وللرسول ﷺ ولذي

---

(١) رواه ابن جرير في تفسيره (١٠، ٣، ٤).

(٢) صحيح: البيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٣٣٦)، برقم (١٢٧١٠).

(٣) ابن جرير في تفسيره (١٠/ ٣).

القربى - يعني قرابة النبي ﷺ - فما كان لله وللرسول فهو لقرابة النبى ﷺ، ولم يأخذ النبى ﷺ من الخمس شيئًا، والربع الثاني لليتامى، والربع الثالث للمساكين، والربع الرابع لابن السبيل. وقال ابن أبى حاتم: ثنا أبى ثنا أبو معمر المنقرى، ثنا عبد الوارث بن سعيد، عن حسين المعلم عن عبد الله بن بريدة فى قوله ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾، قال: الذى لله فلنبيه، والذى للرسول لأزواجه.

وقال عبد الملك بن أبى سليمان، عن عطاء بن أبى رباح، قال: خمس الله والرسول واحد، يحمل منه ويصنع فيه ما شاء، يعنى النبى ﷺ، وهذا أعم وأشمل، وهو أن الرسول ﷺ يتصرف فى الخمس الذى جعله الله بما شاء، ويرده فى أمته كيف شاء، ويشهد لهذا ما رواه الإمام أحمد [١] حيث قال: حدثنا إسحاق بن عيسى، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن أبى بكر بن عبد الله بن أبى مريم، عن أبى سلام الأعرج، عن المقدام بن معد يكرب الكندى، أنه جلس مع عبادة بن الصامت، وأبى الدرداء والحارث بن معاوية الكندى رضى الله عنهم، فتذاكروا حديث رسول الله ﷺ، فقال أبو الدرداء لعبادة: يا عبادة كلمات رسول الله ﷺ فى غزوة كذا وكذا فى شأن الأخماس، فقال عبادة: إن رسول الله ﷺ صلى بهم فى غزوة إلى بعير من المغنم، فلما سلم قام رسول الله ﷺ فتناول وبرة بين أنملتيه، فقال: «إن هذه من غنائمكم وإنه ليس لى فيها إلا نصيبى معكم إلا الخمس، والخمس مردود عليكم، فأدوا الخيط والمخيط، وأكبر من ذلك وأصغر، ولا تغلوا فإن الغلول عار ونار على أصحابه فى الدنيا والآخرة، وجاهدوا الناس فى الله القريب والبعيد، ولا تبالوا فى الله لومة لائم، وأقيموا حدود الله فى السفر والحضر، وجاهدوا فى سبيل الله، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، ينجى الله به من الهم والغم»، هذا حديث حسن عظيم، ولم أره فى شىء من الكتب الستة من هذا الوجه.

ولكن روى الإمام أحمد أيضًا وأبو داود والنسائى، [٢] من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو، عن رسول الله ﷺ نحوه فى قصة الخمس والنهى عن الغلول. وعن عمرو بن عبسة، أن رسول الله ﷺ صلى بهم إلى بعير من المغنم، فلما سلم أخذ وبرة من هذا البعير، ثم قال: «ولا يحل لى من غنائمكم مثل هذه إلا الخمس، والخمس مردود عليكم» رواه أبو داود والنسائى، [٣] وقد كان للنبى ﷺ من الغنائم شىء يصطفيه لنفسه، عبد أو أمة أو فرس أو سيف أو نحو ذلك كما نص عليه محمد بن سيرين وعامر الشعبى، وتبعهما على ذلك أكثر العلماء. وروى الإمام أحمد والترمذى [٤] وحسنه عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ تنفل سيفه ذا الفقار يوم بدر، وهو الذى رأى فيه الرؤيا يوم أحد، وعن عائشة رضى الله عنها قالت: كانت صفية من الصفى، رواه أبو داود فى سننه. [٥] وروى أيضًا بإسناده [٦] والنسائى أيضًا عن يزيد بن عبد الله قال: كنا بالمربد إذ دخل رجل معه قطعة أديم، فقرأناها فإذا فيها «من محمد رسول الله إلى بنى زهير بن أقيش إنكم إن شهدتم أن لا

(١) حسن: أحمد (٢٢١٩١)، انظر: السلسلة الصحيحة رقم (١٩٧٢).
(٢) حسن: أحمد (٦٩٩٧)، أبو داود (٢٦٩٤)، النسائي (٣٦٨٨) (٤١٣٩).
(٣) صحيح: أبو داود (٢٧٥٥)، انظر: صحيح الجامع (٧٦٦١).
(٤) صحيح: أحمد (٢٤٤١)، الترمذي (١٥٦١). (٥) صحيح: أبو داود (٢٩٩٤).
(٦) أبو داود (٢٩٩٩)، أحمد (٢٠٢١٥) ولم أجده عند النسائي.

إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وأقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، وأديتم الخمس من المغنم، وسهم النبيﷺ، وسهم الصفي، أنتم آمنون بأمان الله ورسوله» فقلنا من كتب هذا؟ فقال رسول اللهﷺ، فهذه أحاديث جيدة تدل على تقرير هذا وثبوته، ولهذا جعل ذلك كثيرون من الخصائص له صلوات الله وسلامه عليه، وقال آخرون: إن الخمس يتصرف فيه الإمام بالمصلحة للمسلمين، كما يتصرف في مال الفيء، وقال شيخنا الإمام العلامة ابن تيمية رحمه الله: وهذا قول مالك وأكثر السلف، وهو أصح الأقوال. فإذا ثبت هذا وعلم، فقد اختلف أيضًا في الذي كان يناله عليه السلام من الخمس، ماذا يصنع به من بعده؟، فقال قائلون يكون لمن يلي الأمر من بعده، روى هذا عن أبي بكر وعلي وقتادة وجماعة. وجاء فيه حديث مرفوع، وقال آخرون: يصرف في مصالح المسلمين.

وقال آخرون: بل هو مردود على بقية الأصناف، ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، اختاره ابن جرير، وقال آخرون: بل سهم النبيﷺ وسهم ذوي القربى، مردودان على اليتامى والمساكين وابن السبيل.

قال ابن جرير: وذلك قول جماعة من أهل العراق، وقيل إن الخمس جميعه لذوي القربى، كما رواه ابن جرير،[1] حدثنا الحارث، حدثنا عبد العزيز، حدثنا عبد الغفار، حدثنا المنهال بن عمرو، سألت عبد الله بن محمد بن علي، وعلي بن الحسين عن الخمس، فقالا: هو لنا، فقلت لعلي: فإن الله يقول ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ فقالا: يتامانا ومساكيننا، وقال سفيان الثوري وأبو نعيم وأبو أسامة، عن قيس بن مسلم، سألت الحسن بن محمد ابن الحنفية رحمه الله تعالى، عن قول الله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ فقال: هذا مفتاح كلام الله الدنيا والآخرة، ثم اختلف الناس في هذين السهمين، بعد وفاة رسول اللهﷺ، فقال قائلون: سهم النبيﷺ تسليما للخليفة من بعده، وقال قائلون لقرابة النبيﷺ وقال قائلون: سهم القرابة لقرابة الخليفة، واجتمع رأيهم أن يجعلوا هذين السهمين في الخيل والعدة في سبيل الله، فكانا على ذلك في خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

قال الأعمش عن إبراهيم: كان أبو بكر وعمر يجعلان سهم النبيﷺ في الكراع والسلاح، فقلت لإبراهيم ما كان عليّ يقول فيه؟ قال: كان أشدهم فيه، وهذا قول طائفة كثيرة من العلماء رحمهم الله، وأما سهم ذوي القربى، فإنه يصرف إلى بني هاشم وبني المطلب، لأن بني المطلب وازروا بني هاشم في الجاهلية وفي أول الإسلام، ودخلوا معهم في الشعب غضبًا لرسول اللهﷺ وحماية له، مسلمهم طاعة لله ولرسوله، وكافرهم حمية للعشيرة وأنفة وطاعة لأبي طالب عم رسول اللهﷺ، وأما بنو عبد شمس وبنو نوفل، وإن كانوا بني عمهم، فلم يوافقوهم على ذلك، بل حاربوهم ونابذوهم وماثلوا بطون قريش على حرب الرسول، ولهذا كان ذم أبي طالب لهم في قصيدته اللامية أشد من غيرهم، لشدة قربهم، ولهذا يقول في أثناء قصيدته:

جزى الله عنّا عبد شمس ونوفلا ... عقوبة شر عاجل غير آجل

بميزان قسط لا يخيس شعيرة ... له شاهد من نفسه غير عائل

---

(١) ابن جرير في تفسيره (١٠/ ٨).

لقد سفهت أحلام قوم تبدلوا بنى خلف قيضًا بنا والعياطل
ونحن الصميم من ذؤابة هاشم وآل قصى فى الخطوب الأوائل

وقال جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل: مشيت أنا وعثمان بن عفان، يعنى ابن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس، إلى رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله أعطيت بنى المطلب من خمس خيبر وتركتنا، ونحن وهم منك بمنزلة واحدة، فقال: «إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد» رواه مسلم.[1] وفى بعض روايات هذا الحديث، «إنهم لم يفارقونا فى جاهلية ولا إسلام»[2]، وهذا قول جمهور العلماء، إنهم بنو هاشم وبنو المطلب.

قال ابن جرير وقال آخرون: هم بنو هاشم، ثم روى عن خصيف عن مجاهد، قال: علم الله أن فى بنى هاشم فقراء، فجعل لهم الخمس مكان الصدقة، وفى رواية عنه قال: هم قرابة رسول الله ﷺ الذين لا تحل لهم الصدقة، ثم روى عن على بن الحسين نحو ذلك، قال ابن جزير وقال آخرون: بل هم قريش كلها، حدثنى يونس بن عبد الأعلى، حدثنى عبد الله بن نافع، عن أبى معشر، عن سعيد المقبرى، قال: كتب نجدة إلى عبد الله بن عباس يسأله عن ذوى القربى، فكتب إليه ابن عباس، كنا نقول: إنا هم، فأبى علينا ذلك قومنا، وقالوا قريش كلها ذوو قربى وهذا الحديث صحيح، رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى[3] من حديث سعيد المقبرى، عن يزيد بن هرمز أن نجدة كتب إلى ابن عباس يسأله عن ذوى القربى، فذكره إلى قوله: فأبى ذلك علينا قومنا، والزيادة من أفراد أبى معشر نجيح بن عبد الرحمن المدنى، وفيه ضعف، وقال ابن أبى حاتم: حدثنا أبى حدثنا إبراهيم بن مهدى المصيصى، حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن حنش عن عكرمة عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «رغبت لكم عن غسالة الأيدى، لأن لكم من خمس الخمس ما يغنيكم أو يكفيكم»[4]، هذا حديث حسن الإسناد، وإبراهيم بن مهدى هذا وثقه أبو حاتم، وقال يحيى بن معين: يأتى بمناكير، والله أعلم. وقوله ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ أى أيتام المسلمين، واختلف العلماء هل يختص بالأيتام الفقراء، أو يعم الأغنياء والفقراء؟ على قولين، والمساكين هم المحاويج الذين لا يجدون ما يسد خلتهم ومسكنتهم، ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ هو المسافر أو المريد للسفر إلى مسافة تقصر فيها الصلاة، وليس له ما ينفقه فى سفره ذلك، وسيأتى تفسير ذلك فى آية الصدقات من سورة براءة إن شاء الله تعالى، وبه الثقة وعليه التكلان.

وقوله ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ أى امتثلوا ما شرعنا لكم من الخمس فى الغنائم، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، وما أنزل على رسوله، ولهذا جاء فى الصحيحين[5] من حديث عبد الله بن عباس فى حديث وفد عبد القيس، أن رسول الله ﷺ قال لهم: «وآمركم بأربع، وأنهاكم

---

(١) البخاري برقم (٣١٤٠)، أبو داود (٢٩٧٨).
تنبيه: ولم نقف عليه عند مسلم. (٢) النسائي (٤١٣٧).
(٣) مسلم برقم (١٨١٢)، أبو داود برقم (٢٩٨٢)، الترمذي برقم (١٥٥٦)، النسائي (٤١٣٣).
(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ٢١٧)، برقم (١١٥٤٣)، من طريق حنش عن عكرمة مطولاً.
(٥) البخاري برقم (٥٣)، ومسلم برقم (١٧).

عن أربع. آمركم بالإيمان بالله» ثم قال: «هل تدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وأن تؤدوا الخمس من المغنم» ، الحديث بطوله، فجعل أداء الخمس من جملة الإيمان، وقد بوب البخارى على ذلك فى كتاب الإيمان من صحيحه، فقال: (باب أداء الخمس من الإيمان) ثم أورد حديث ابن عباس هذا، وقد بسطنا الكلام عليه فى شرح البخارى، [1] ولله الحمد والمنة، وقال مقاتل بن حيان: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ أى فى القسمة، وقوله ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾، ينبه تعالى على نعمته وإحسانه إلى خلقه، بما فرق به بين الحق والباطل ببدر، ويسمى الفرقان، لأن الله أعلى فيه كلمة الإيمان على كلمة الباطل وأظهر دينه ونصر نبيه وحزبه، قال على بن أبى طلحة والعوفى عن ابن عباس: يوم الفرقان يوم بدر، فرق الله فيه بين الحق والباطل، رواه الحاكم، وكذا قال مجاهد ومقسم وعبيد الله بن عبد الله والضحاك وقتادة ومقاتل بن حيان وغير واحد أنه يوم بدر، وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن عروة بن الزبير فى قوله ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ يوم فرق الله بين الحق والباطل، وهو يوم بدر، وهو أول مشهد شهده رسول الله ﷺ، وكان رأس المشركين عتبة بن ربيعة، فالتقوا يوم الجمعة لتسع عشرة أو سبع عشرة مضت من رمضان، وأصحاب رسول الله ﷺ يومئذ ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، والمشركون ما بين الألف والتسعمائة، فهزم الله المشركين، وقتل منهم زيادة على السبعين، وأسر منهم مثل ذلك، وقد روى الحاكم [2] فى مستدركه من حديث الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن ابن مسعود، قال فى ليلة القدر: تحروها لإحدى عشرة يبقين، فإن فى صبيحتها يوم بدر، وقال على شرطهما، وروى مثله، عن عبد الله بن الزبير أيضًا، من حديث جعفر بن برقان، عن رجل عنه.

وقال ابن جرير: [3] حدثنا ابن حميد، حدثنا يحيى بن واضح، حدثنا يحيى بن يعقوب أبو طالب، عن ابن عون عن محمد بن عبد الله الثقفى، عن أبى عبد الرحمن السلمى، قال: قال الحسن بن على: كانت ليلة الفرقان يوم التقى الجمعان لسبع عشرة من رمضان، إسناد جيد قوى، ورواه ابن مردويه، عن أبى عبد الرحمن عبد الله بن حبيب عن على قال: كانت ليلة الفرقان، ليلة التقى الجمعان، فى صبيحتها ليلة الجمعة لسبع عشرة مضت من شهر رمضان، وهو الصحيح عند أهل المغازى والسير، وقال يزيد بن أبى حبيب إمام أهل الديار المصرية فى زمانه: كان يوم بدر يوم الاثنين، ولم يتابع على هذا، وقول الجمهور مقدم عليه، والله أعلم.

﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾

يقول تعالى مخبرًا عن يوم الفرقان ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أى إذ أنتم نزول بعدوة الوادى الدنيا

(١) انظر فتح الباري (١/ ١٢٩ -١٣٥).
(٢) صحيح: الحاكم (٣/ ٢٣)، برقم (٤٣٠٠). (٣) ابن جرير في تفسيره (١٠/ ٩).

القريبة إلى المدينة، ﴿وَهُم﴾ أى المشركون نزول ﴿بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ﴾ أى البعيدة من المدينة إلى ناحية مكة، ﴿وَٱلرَّكْبُ﴾ أى العير الذى فيه أبو سفيان بما معه من التجارة، ﴿أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ أى مما يلى سيف البحر، ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ﴾ أى أنتم والمشركون إلى مكان ﴿لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ﴾، قال محمد بن إسحاق: وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، فى هذه الآية، قال: ولو كان ذلك عن ميعاد منكم ومنهم، ثم بلغكم كثرة عددهم وقلة عددكم، ما لقيتموهم ﴿وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ أى ليقضى الله ما أراد بقدرته من إعزاز الإسلام وأهله، وإذلال الشرك وأهله، من غير ملأ منكم، ففعل ما أراد من ذلك بلطفه، وفى حديث كعب بن مالك قال: إنما خرج رسول الله ﷺ والمسلمون، يريدون عير قريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد [1].

وقال ابن جرير: [2] حدثنى يعقوب حدثنى ابن علية، عن ابن عون عن عمير بن إسحاق، قال: أقبل أبو سفيان فى الركب من الشام، وخرج أبو جهل ليمنعه من رسول الله ﷺ وأصحابه، فالتقوا ببدر، ولا يشعر هؤلاء بهؤلاء، ولاهؤلاء بهؤلاء، حتى التقى السقاة، ونهد الناس بعضهم لبعض، وقال محمد بن إسحاق فى السيرة: ومضى رسول الله ﷺ على وجهه ذلك، حتى إذا كان قريبًا من الصفراء، بعث بسبس بن عمور وعدى بن أبى الزغباء الجهنيين، يلتمسان الخبر عن أبى سفيان، فانطلقا حتى إذا وردا بدرًا، فأناخا بعيريهما إلى تل من البطحاء، فاستقيا فى شن لهما من الماء، فسمعا جاريتين تختصمان، تقول إحداهما لصاحبتها اقضينى حقى، وتقول الأخرى إنما تأتى العير غدًا أو بعد غد فأقضيك حقك، فخلص بينهما مجدى بن عمرو، وقال صدقت، فسمع بذلك بسبس وعدى، فجلسا على بعيريهما حتى أتيا رسول الله ﷺ، فأخبراه الخبر، وأقبل أبو سفيان حين وليا وقد حدر، فتقدم أمام عيره، وقال لمجدى بن عمرو هل أحسست على هذا الماء من أحد تنكره؟ فقال: لا والله، إلا أنى قد رأيت راكبين أناخا إلى هذا التل فاستقيا في شن لهما ثم انطلقا، فجاء أبو سفيان إلى مناخ بعيريهما، فأخذ من أبعارهما ففته فإذا فيه النوى، فقال هذه والله علائف يثرب، ثم رجع سريعًا فضرب وجه عيره فانطلق بها فسَاحَل، حتى إذا رأى أنه قد أحرز عيره بعث إلى قريش فقال: إن الله قد نجى عيركم وأموالكم ورجالكم فارجعوا، فقال أبو جهل: والله لا نرجع حتى نأتى بدرًا - وكانت بدر سوقًا من أسواق العرب - فنقيم بها ثلاثًا فنطعم بها الطعام، وننحر بها الجزر، ونسقى بها الخمر، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا، فلا يزالون يهابوننا بعدها أبدًا.

فقال الأخنس بن شريق: يا معشر بنى زهرة، إن الله قد أنجى أموالكم ونجى صاحبكم فارجعوا فأطاعوه فرجعت بنو زهرة، فلم يشهدوها، ولا بنو عدى، قال محمد بن إسحاق: وحدثنى يزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير قال: وبعث رسول الله ﷺ حين دنا من بدر، على بن أبى طالب وسعد بن أبى وقاص والزبير بن العوام فى نفر من أصحابه يتجسسون له الخبر، فأصابوا سقاة لقريش غلامًا لبنى سعيد بن العاص، وغلامًا لبنى الحجاج، فأتوا بهما رسول الله ﷺ، فوجدوه يصلى فجعل أصحاب رسول الله ﷺ يسألونهما لمن أنتما؟ فيقولان: نحن سقاة لقريش، بعثونا نسقيهم من الماء، فكره القوم

---

(١) البخاري (٣٩٥١).

(٢) ابن جرير في تفسيره (١٠/ ١١).

خبرهما، ورجوا أن يكونا لأبى سفيان فضربوهما، فلما أزلقوهما قالا: نحن لأبى سفيان فتركوهما، وركع رسول الله ﷺ وسجد سجدتين ثم سلم، وقال «إذا صدقاكم ضربتموهما، وإذا كذباكم تركتموهما، صدقا والله إنهما لقريش، أخبرانى عن قريش» قالا هم وراء هذا الكثيب الذى ترى بالعدوة القصوى، والكثيب: العقنقل، فقال لهما رسول الله ﷺ «كم القوم؟» قالا: كثير. قال: «ما عدتهم؟» قالا ما ندرى. قال «كم ينحرون كل يوم؟» قالا: يوما تسعا ويوما عشرًا، قال رسول الله ﷺ: «القوم ما بين التسعمائة إلى الألف» ثم قال لهما: «فمن فيهم من أشراف قريش؟» قالا: عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البخترى بن هشام وحكيم بن حزام ونوفل بن خويلد والحارث بن عامر بن نوفل، وطعيمة بن عدى بن نوفل والنضر بن الحارث، وزمعة بن الأسود وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وسهيل بن عمرو وعمرو بن عبد ود، فأقبل رسول الله ﷺ على الناس فقال: «هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها».

قال محمد بن إسحاق رحمه الله تعالى: وحدثنى عبد الله بن أبى بكر بن حزم، أن سعد بن معاذ قال لرسول الله ﷺ: لما التقى الناس يوم بدر يا رسول الله، ألا نبنى لك عريشاً تكون فيه، ونتيخ إليك ركائبك، ونلقى عدونا، فإن أظهرنا الله عليهم وأعزنا فذاك ما نحب، وإن تكن الأخرى، فتجلس على ركائبك وتلحق بمن وراءنا من قومنا، فقد والله تخلف عنك أقوام ما نحن بأشد لك حبًّا منهم، لو علموا أنك تلقى حربًا ما تخلفوا عنك، ويوازرونك وينصرونك. فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيرًا، ودعا له به فبنى له عريش، فكان فيه رسول الله ﷺ وأبو بكر ما معهما غيرهما. قال ابن إسحاق: وارتحلت قريش حين أصبحت، فلما أقبلت ورآها رسول الله ﷺ تصوب من العقنقل، وهو الكثيب، الذى جاءوا منه إلى الوادى، فقال: «اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم أحنهم الغداة» وقوله: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾.

قال محمد بن إسحاق: أى ليكفر من كفر بعد الحجة لما رأى من الآية والعبرة، ويؤمن من آمن على مثل ذلك، وهذا تفسير جيد. وبسط ذلك أنه تعالى يقول: إنما جمعكم مع عدوكم فى مكان واحد، على غير ميعاد، لينصركم عليهم ويرفع كلمة الحق على الباطل، ليصير الأمر ظاهرًا والحجة قاطعة والبراهين ساطعة، ولا يبقى لأحد حجة، ولا شبهة، فحينئذ يهلك من هلك أى يستمر فى الكفر من استمر فيه، على بصيرة من أمره، إنه مبطل لقيام الحجة عليه، ﴿وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ﴾ أى يؤمن من آمن ﴿عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ أى حجة وبصيرة، والإيمان هو حياة القلوب، قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢] وقالت عائشة فى قصة الإفك: فيَّ هلك من هلك، أى قال فيها ما قال من الكذب والبهتان والإفك. وقوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ﴾ أى لدعائكم وتضرعكم واستغاثتكم به، ﴿عَلِيمٌ﴾ أى بكم، وأنكم تستحقون النصر على أعدائكم الكفرة المعاندين.

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾

قال مجاهد: أراهم الله إياه فى منامه قليلاً، وأخبر النبى ﷺ أصحابه بذلك، فكان تثبيتًا لهم، وكذا قال ابن إسحاق وغير واحد، وحكى ابن جرير عن بعضهم، أنه رآهم بعينه التى ينام بها، وقد روى ابن أبى حاتم: حدثنا أبى حدثنا يوسف بن موسى المدبر، حدثنا أبو قتيبة، عن سهل السراج عن الحسن فى قوله: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ قال بعينك، وهذا القول غريب، وقد صرح بالمنام ههنا، فلا حاجة إلى التأويل الذى لا دليل عليه، وقوله: ﴿وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ﴾ أى لجبنتم عنهم، واختلفتم فيما بينكم، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾ أى من ذلك، بأن أراكهم قليلا ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي بما تجنه الضمائر وتنطوى عليه الأحشاء، ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩] وقوله: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ وهذا أيضًا من لطفه تعالى بهم، إذ أراهم إياهم قليلا فى رأى العين، فيجرئهم عليهم ويطمعهم فيهم.

قال أبو إسحاق السبيعى: عن أبى عبيدة، عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، قال: لقد قللوا فى أعيننا يوم بدر، حتى قلت لرجل إلى جنبى تراهم سبعين؟ قال: لا بل هم مائة، حتى أخذنا رجلا منهم فسألناه، فقال: كنا ألفًا، رواه ابن أبى حاتم وابن جرير، وقوله: ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾.

قال ابن أبى حاتم: [(١)] حدثنا أبى حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد، عن الزبير بن الخِرِّيتِ عن عكرمة ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾، قال: حضض بعضهم على بعض، إسناد صحيح، وقال محمد بن إسحاق: حدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه فى قوله تعالى: ﴿لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ أى ليلقى بينهم الحرب للنقمة ممن أراد الانتقام منه، والإنعام على من أراد تمام النعمة عليه من أهل ولايته، ومعنى هذا أنه تعالى أغرى كلا من الفريقين بالآخر، وقلله فى عينه ليطمع فيه، وذلك عند المواجهة، فلما التحم القتال وأيد الله المؤمنين بألف من الملائكة مردفين، بقى حزب الكفار يرى حزب الإيمان ضعفيه، كما قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [آل عمران: ١٣] وهذا هو الجمع بين هاتين الآيتين، فإن كلا منهما حق وصدق، ولله الحمد والمنة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾

هذا تعليم من الله تعالى لعباده المؤمنين آداب اللقاء وطريق الشجاعة عند مواجهة الأعداء، فقال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟﴾ ثبت فى الصحيحين [(٢)] عن عبد الله بن أبى أوفى، عن رسول الله ﷺ أنه انتظر فى بعض أيامه التى لقى فيها العدو، حتى إذا مالت الشمس قام فيهم، فقال:

(١) ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/٩١٢٨).
(٢) البخاري برقم (٢٩٣٣)، مسلم (١٧٤٢).

«يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف» ثم قام النبى ﷺ، وقال: «اللهم منزل الكتاب، ومجرى السحاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم».

وقال عبد الرزاق: [١] عن سفيان الثورى عن عبد الرحمن بن زياد، عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاثبتوا واذكروا الله، فإن أجلبوا وضجوا فعليكم بالصمت».

وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى: [٢] حدثنا إبراهيم بن هاشم البغوى، حدثنا أمية بن بسطام، حدثنا معتمر بن سليمان، حدثنا ثابت بن زيد عن رجل عن زيد بن أرقم عن النبى ﷺ مرفوعًا، قال: «إن الله يحب الصمت عند ثلاث عند تلاوة القرآن، وعند الزحف، وعند الجنازة» وفى الحديث الآخر المرفوع، [٣] يقول الله تعالى: «إن عبدى كل عبدى الذى يذكرنى وهو مناجز قرنه» أى لا يشغله ذلك الحال، عن ذكرى ودعائى واستعانتى.

وقال سعيد بن أبى عروبة: عن قتادة فى هذه الآية، قال: افترض الله ذكره عند أشغل ما يكون عند الضرب بالسيوف، وقال ابن أبى حاتم: [٤] حدثنا أبى حدثنا عبدة بن سليمان، حدثنا ابن المبارك عن ابن جريج عن عطاء، قال: وجب الإنصات وذكر الله عند الزحف، ثم تلا هذه الآية، قلت: يجهرون بالذكر؟ قال: نعم، وقال أيضًا: قرئ على يونس بن عبد الأعلى، أنبأنا ابن وهب، أخبرنى عبد الله بن عياش عن يزيد بن قوذر عن كعب الأحبار، قال ما من شىء أحب إلى الله تعالى من قراءة القرآن والذكر، ولولا ذلك ما أمر الناس بالصلاة والقتال، ألا ترون أنه أمر الناس بالذكر عند القتال، فقال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٤٥﴾ قال الشاعر:

ذكرتك والخطىُّ يخطر بيننا وقد نهلت فينا المثقفة السمر

وقال عنترة:

ولقد ذكرتك والرماح نواهل منى وبيض الهند تقطر من دمى

فأمر تعالى بالثبات عند قتال الأعداء والصبر على مبارزتهم، فلا يفروا ولا ينكلوا ولا يجبنوا، وأن يذكروا الله فى تلك الحال ولا ينسوه، بل يستعينوا به ويتوكلوا عليه ويسألوه النصر على أعدائهم، وأن يطيعوا الله ورسوله فى حالهم ذلك، فما أمرهم الله تعالى به ائتمروا، وما نهاهم عنه انزجروا، ولا يتنازعوا فيما بينهم أيضًا فيختلفوا فيكون سببًا لتخاذلهم وفشلهم، ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ أى قوتكم وحدتكم، وما كنتم فيه من الإقبال، ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ وقد كان للصحابة رضى الله عنهم فى باب الشجاعة والائتمار بما أمرهم الله ورسوله به، وامتثال ما أرشدهم إليه ما لم يكن لأحد من الأمم والقرون قبلهم، ولا يكون لأحد ممن بعدهم، فإنهم ببركة الرسول ﷺ وطاعته فيما أمرهم،

(١) عبد الرزاق في مصنفه (٥/ ٢٥٠)، برقم (٩٥١٨).
(٢) ضعيف: الطبراني في الكبير(٥/ ٢١٣)، برقم (٥١٣٠)، انظر ضعيف الجامع رقم (١٧٠٣).
(٣) ضعيف: الترمذي (٣٥٨٠) من حديث عمارة بن زعكرة به. قال الترمذي: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، ليس إسناده بالقوى. وانظر ضعيف الجامع (١٧٥٠).
(٤) ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ٩١٣٣).

فتحوا القلوب والأقاليم شرقًا وغربًا فى المدة اليسيرة، مع قلة عددهم بالنسبة إلى جيوش سائر الأقاليم، من الروم والفرس والترك والصقالبة والبربر والحبوش، وأصناف السودان والقبط وطوائف بنى آدم. قهروا الجميع حتى علت كلمة الله، وظهر دينه على سائر الأديان، وامتدت الممالك الإسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها، فى أقل من ثلاثين سنة، فرضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين، وحشرنا فى زمرتهم إنه كريم وهاب.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ۚ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾

يقول تعالى بعد أمره المؤمنين بالإخلاص فى القتال فى سبيله، وكثرة ذكره، ناهيًا لهم عن التشبه بالمشركين فى خروجهم من ديارهم، ﴿بَطَرًا﴾ أى دفعًا للحق، ﴿وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾ وهو المفاخرة والتكبر عليهم، كما قال أبو جهل: لما قيل له: إن العير قد نجا فارجعوا، فقال: لا والله لا نرجع، حتى نرد ماء بدر، وننحر الجزر، ونشرب الخمر، وتعزف علينا القيان، وتتحدث العرب بمكاننا فيها يومنا أبدًا، فانعكس ذلك عليه أجمع، لأنهم لما وردوا ماء بدر وردوا به الحمام، ورموا فى أطواء بدر مهانين أذلاء، صغرة أشقياء فى عذاب سرمدى أبدى، ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ أى عالم بما جاءوا به وله، ولهذا جازاهم عليه شر الجزاء لهم.

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك والسدى فى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾ قالوا: هم المشركون الذين قاتلوا رسول الله ﷺ يوم بدر. وقال محمد بن كعب: لما خرجت قريش من مكة إلى بدر، خرجوا بالقيان والدفوف، فأنزل الله ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾ وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ﴿٤٨﴾﴾ الآية، حسن لهم - لعنه الله - ما جاءوا له وما هموا به، وأطمعهم أنه لا غالب لهم اليوم من الناس، ونفى عنهم الخشية من أن يؤتوا فى ديارهم من عدوهم بنى بكر، فقال: إنى جار لكم، وذلك أنه تبدى لهم فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم، سيد بنى مدلج كبير تلك الناحية، وكل ذلك منه كما قال تعالى عنه: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: ١٢٠].

قال ابن جريج: قال ابن عباس فى هذه الآية: لما كان يوم بدر، سار إبليس برايته وجنوده مع المشركين، وألقى فى قلوب المشركين أن أحدًا لن يغلبكم، وإنى جارلكم، فلما التقوا ونظر الشيطان إلى إمداد الملائكة، ﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ قال: رجع مدبرًا، وقال: ﴿إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ الآية، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال: جاء إبليس يوم بدر فى جند من الشياطين معه رايته، فى صورة رجل من بنى مدلج، فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم، فقال الشيطان للمشركين: لا غالب لكم

اليوم من الناس وإنى جار لكم فلما اصطف الناس، أخذ رسول الله ﷺ قبضة من التراب فرمى بها فى وجوه المشركين فولوا مدبرين، وأقبل جبريل عليه السلام إلى إبليس، فلما رآه وكانت يده فى يد رجل من المشركين، انتزع يده ثم ولى مدبرًا وشيعته، فقال الرجل: يا سراقة أتزعم أنك لنا جار؟ فقال: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾، وذلك حين رأى الملائكة، وقال محمد بن إسحاق: حدثنى الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس، أن إبليس خرج مع قريش فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم، فلما حضر القتال ورأى الملائكة، ﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ﴾، فتشبث به الحارث بن هشام، فنخر فى وجهه فخر صعقًا، فقيل له: ويلك يا سراقة على هذه الحال، تخذلنا وتبرأ منا، فقال: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

وقال محمد بن عمر الواقدى: أخبرنى عمر بن عقبة عن شعبة مولى ابن عباس، عن ابن عباس، قال: لما تواقف الناس أغمى على رسول الله ﷺ ساعة، ثم كشف عنه فبشر الناس بجبريل فى جند من الملائكة ميمنة الناس، وميكائيل فى جند آخر ميسرة الناس، وإسرافيل فى جند آخر ألف، وإبليس قد تصور فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم المدلجى يدبر المشركين ويخبرهم أنه لا غالب لهم اليوم من الناس، فلما أبصر عدو الله الملائكة، ﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾، وقال: إنى برىء منكم إنى أرى ما لا ترون، فتشبث به الحارث بن هشام، وهو يرى أنه سراقة لما سمع من كلامه، فضرب فى صدر الحارث فسقط الحارث، وانطلق إبليس لا يرى حتى سقط فى البحر ورفع ثوبه، وقال يا رب موعدك الذى وعدتنى. وفى الطبرانى عن رفاعة بن رافع، قريب من هذا السياق وأبسط منه، ذكرناه فى السيرة.

وقال محمد بن إسحاق: حدثنى يزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير، قال: لما أجمعت قريش المسير ذكرت الذى بينها وبين بنى بكر من الحرب، فكاد ذلك أن يثنيهم، فتبدى لهم إبليس فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم المدلجى، وكان من أشراف بنى كنانة، فقال أنا جارلكم أن تأتيكم كنانة بشىء تكرهونه، فخرجوا سراعًا، قال محمد بن إسحاق: فذكر لى أنهم كانوا يرونه فى كل منزل فى صورة سراقة بن مالك لا ينكرونه، حتى إذا كان يوم بدر والتقى الجمعان، كان الذى رآه حين نكص، الحارث بن هشام أو عمير بن وهب، فقال أين - أي - سراقة؟ أين مثل عدو الله فذهب، قال فأوردهم ثم أسلمهم، قال ونظر عدو الله إلى جنود الله قد أيد الله بهم رسوله والمؤمنين فـ﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ وصدق عدو الله، وقال: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾، وهكذا روى عن السدى والضحاك والحسن البصرى ومحمد بن كعب القرظى وغيرهم رحمهم الله، وقال قتادة: وذكر لنا أنه رأى جبريل عليه السلام تنزل معه الملائكة، فعلم عدو الله أنه لا يدان له بالملائكة، فقال: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ وكذب عدو الله. والله ما به مخافة الله، ولكن علم أنه لا قوة له ولا منعة، وتلك عادة عدو الله لمن أطاعه واستقاد له، حتى إذا التقى الحق والباطل أسلمهم شر مسلم، وتبرأ منهم عند ذلك، قلت: يعنى بعادته لمن أطاعه، قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

[الحشر: ١٦] وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[إبراهيم: ٢٢].

وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق، حدثني عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم، عن بعض بني ساعدة، قال: سمعت أبا أسيد مالك بن ربيعة بعدما كف بصره، يقول: لو كنت معكم الآن ببدر ومعي بصري لأخبرتكم بالشعب الذي خرجت منه الملائكة، لا أشك ولا أتماري، فلما نزلت الملائكة ورآها إبليس، وأوحى الله إليهم أني معكم فثبتوا الذين آمنوا، وتثبيتهم، أن الملائكة كانت تأتي الرجل في صورة الرجل يعرفه، فيقول له أبشر فإنهم ليسوا بشيء والله معكم كروا عليهم، فلما رأى إبليس الملائكة ﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾، وهو في صورة سراقة، وأقبل أبو جهل يحضض أصحابه، ويقول لا يهولنكم خذلان سراقة إياكم، فإنه كان على موعد من محمد وأصحابه. ثم قال: واللات والعزى، لا نرجع حتى نقرن محمدًا وأصحابه في الحبال، فلا تقتلوهم وخذوهم أخذًا، وهذا من أبي جهل لعنه الله، كقول فرعون للسحرة لما أسلموا: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا﴾[الأعراف: ١٢٣] وكقوله: ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾[طه: ٧١] وهو من باب البهت والافتراء، ولهذا كان أبو جهل فرعون هذه الأمة.

وقال مالك بن أنس: عن إبراهيم بن أبي عبلة، عن طلحة بن عبيد الله بن كريز، أن رسول الله ﷺ قال: «ما رؤي إبليس يوما هو فيه أصغر ولا أحقر ولا أدحر ولا أغيظ منه في يوم عرفة، وذلك مما يرى من نزول الرحمة والعفو عن الذنوب إلا ما رأى يوم بدر» قالوا: يا رسول الله وما رأى يوم بدر؟ قال: «أما إنه رأى جبريل عليه السلام يزع الملائكة»[1] وهذا مرسل من هذا الوجه.

وقوله: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في هذه الآية: لما دنا القوم بعضهم من بعض قلل الله المسلمين في أعين المشركين، وقلل المشركين في أعين المسلمين، فقال المشركون: غر هؤلاء دينهم، وإنما قالوا ذلك من قلتهم في أعينهم، فظنوا أنهم سيهزمونهم لا يشكون في ذلك، فقال الله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ وقال قتادة: رأوا عصابة من المؤمنين تشددت لأمر الله، وذكر لنا، أن أبا جهل عدو الله لما أشرف على محمد ﷺ وأصحابه، قال: والله لا يعبدون الله بعد اليوم - قسوة وعتوًا. وقال ابن جريج في قوله ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ هم قوم كانوا من المنافقين بمكة، قالوه يوم بدر، وقال عامر الشعبي: كان ناس من أهل مكة قد تكلموا بالإسلام، فخرجوا مع المشركين يوم بدر، فلما رأوا قلة المسلمين، قالوا: غر هؤلاء دينهم.

وقال مجاهد في قوله عز وجل: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾ قال فئة من قريش، قيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، والحارث بن زمعة بن الأسود بن المطلب، وعلي بن أمية بن خلف، والعاص بن منبه بن الحجاج، خرجوا مع قريش من

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٢٤٥)، قال ابن عبد البر في التمهيد (١/ ١١٦): هذا حديث حسن في فضل شهود ذلك الموقف المبارك، وفيه دليل على الترغيب في الحج، ومعنى هذا الحديث محفوظ من وجوه كثيرة.

مكة، وهم على الارتياب فحبسهم ارتيابهم، فلما رأوا قلة أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: غر هؤلاء دينهم حتى قدموا على ما قدموا عليه مع قلة عددهم وكثرة عدوهم، وكذا قال محمد بن إسحاق بن يسار سواء.

وقال ابن جرير: [١] حدثنا محمد بن عبد الأعلى، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر عن الحسن فى هذه الآية قال: هم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر، فسموا منافقين، قال معمر: وقال بعضهم: هم قوم كانوا أقروا بالإسلام وهم بمكة، فخرجوا مع المشركين يوم بدر، فلما رأوا قلة المسلمين، قالوا غر هؤلاء دينهم، وقوله ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ أى يعتمد على جنابه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ أى لا يضام من التجأ إليه، فإن الله عزيز منيع الجناب عظيم السلطان ﴿حَكِيمٌ﴾ فى أفعاله لا يضعها إلا فى مواضعها، فينصر من يستحق النصر، ويخذل من هو أهل لذلك.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾﴾

يقول تعالى: ولو عاينت يا محمد حال توفى الملائكة أرواح الكفار، لرأيت أمرًا عظيما هائلا فظيعًا منكرًا، ﴿إِذْ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ ويقولون لهم ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾، قال ابن جريج: عن مجاهد ﴿وَأَدْبَارَهُمْ﴾ أستاههم، قال: يوم بدر. قال ابن جريج: قال ابن عباس: إذا أقبل المشركون بوجوههم إلى المسلمين، ضربوا وجوههم بالسيوف، وإذا ولوا أدركتهم الملائكة فضربوا أدبارهم. وقال ابن أبى نجيح: عن مجاهد، فى قوله ﴿إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ يوم بدر، وقال وكيع: عن سفيان الثورى عن أبى هاشم إسماعيل بن كثير عن مجاهد، وعن شعبة عن يعلى بن مسلم، عن سعيد بن جبير، ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾قال: وأستاههم، ولكن الله يكنى، وكذا قال عمر مولى عفرة.

وعن الحسن البصرى قال: قال رجل يا رسول الله: إنى رأيت بظهر أبى جهل مثل الشراك، قال: ما ذاك؟ قال: «ذاك ضرب الملائكة» رواه ابن جرير [٢] وهو مرسل.

وهذا السياق وإن كان سببه وقعة بدر، ولكنه عام فى حق كل كافر، ولهذا لم يخصصه تعالى بأهل بدر، بل قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ وفى سورة القتال مثلها.

وتقدم فى سورة الأنعام قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ﴾[الأنعام: ٩٣] أى باسطو أيديهم بالضرب فيهم يأمرونهم، إذ استصعبت أنفسهم، وامتنعت من الخروج من الأجساد أن تخرج قهرًا، وذلك إذ بشروهم بالعذاب والغضب من الله، كما فى حديث البراء [٣] أن ملك الموت إذا جاء الكافر عند احتضاره فى تلك الصورة المنكرة، يقول: اخرجى أيتها النفس الخبيثة إلى سموم وحميم وظل من يحموم، فتفرق فى بدنه فيستخرجونها من

(١) الطبري في تفسيره (١٠/ ٢١).
(٢) ابن جرير في تفسيره (١٠/ ٢٢).
(٣) تقدم تخريجه.

جسده، كما يخرج السفود من الصوف المبلول، فتخرج معها العروق والعصب، ولهذا أخبر تعالى: أن الملائكة تقول لهم: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ أى هذا الجزاء بسبب ما عملتم من الأعمال السيئة فى حياتكم الدنيا، جازاكم الله بها هذا الجزاء ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ أى لا يظلم أحدًا من خلقه، بل هو الحكم العدل الذى لا يجور تبارك وتعالى، وتقدس وتنزه الغنى الحميد، ولهذا جاء فى الحديث الصحيح، عند مسلم رحمه الله، [1] من رواية أبى ذر رضى الله عنه، عن رسول الله ﷺ إن الله تعالى يقول «يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا، يا عبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم فمن وجد خيرًا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه» ولهذا قال تعالى.

﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾﴾

يقول تعالى: فعل هؤلاء المشركون المكذبون بما أرسلت به يا محمد، كما فعل الأمم المكذبة قبلهم، ففعلنا بهم ما هو دأبنا أى عادتنا وسنتنا فى أمثالهم من المكذبين من آل فرعون ومن قبلهم من الأمم المكذبة بالرسل، الكافرين بآيات الله ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ أى بسبب ذنوبهم أهلكهم وأخذهم أخذ عزيز مقتدر، ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ أى لا يغلبه غالب ولا يفوته هارب.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٥٤﴾﴾

يخبر تعالى عن تمام عدله وقسطه فى حكمه بأنه تعالى لا يغير نعمة أنعمها على أحد، إلا بسبب ذنب ارتكبه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١]. وقوله: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ أى كصنعه بآل فرعون وأمثالهم، حين كذبوا بآياته، أهلكهم بسبب ذنوبهم وسلبهم تلك النعم التى أسداها إليهم، من جنات وعيون وزروع وكنوز ومقام كريم، ونعمة كانوا فيها فاكهين، وما ظلمهم الله فى ذلك بل كانوا هم الظالمين.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾

أخبر تعالى: أن شر ما دب على وجه الأرض هم الذين كفروا فهم لا يؤمنون، الذين كلما عاهدوا عهدًا نقضوه، وكلما أكدوه بالأيمان نكثوه، ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ أى لا يخافون من الله فى شىء ارتكبوه

(١) مسلم برقم (٢٥٧٧).

من الآثام، ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ﴾ أى تغلبهم وتظفر بهم فى حرب، ﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ أى نكل بهم، قاله ابن عباس والحسن البصرى والضحاك والسدى وعطاء الخراسانى وابن عيينة، ومعناه غلظ عقوبتهم وأثخنهم قتلاً، ليخاف من سواهم من الأعداء من العرب وغيرهم، ويصيروا لهم عبرة، ﴿لَّعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ وقال السدى: يقول: لعلهم يحذرون أن ينكثوا فيصنع بهم مثل ذلك.

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾

يقول تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ﴾ قد عاهدتهم ﴿خِيَانَةً﴾ أى نقضًا لما بينك وبينهم من المواثيق والعهود، ﴿فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ﴾ أى عهدهم ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾، أى أعلمهم بأنك قد نقضت عهدهم، حتى يبقى علمك وعلمهم بأنك حرب لهم، وهم حرب لك، وأنه لا عهد بينك وبينهم على السواء، أى تستوى أنت وهم فى ذلك، قال الراجز:

فاضرب وجوه الغدر للأعداء حتى يجيبوك إلى السواء

وعن الوليد بن مسلم أنه قال فى قوله تعالى: ﴿فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ أى على مهل، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ أى حتى ولو فى حق الكفار لا يحبها أيضًا.

قال الإمام أحمد: [1] حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة، عن أبى الفيض عن سليم بن عامر، قال: كان معاوية يسير فى أرض الروم، وكان بينه وبينهم أمد، فأراد أن يدنو منهم، فإذا انقضى الأمد غزاهم، فإذا شيخ على دابة يقول: الله أكبر، الله أكبر، وفاء لا غدرًا، إن رسول الله ﷺ قال: «ومن كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلن عقدة ولا يشدها حتى ينقضى أمدها، أو ينبذ إليهم على سواء» قال: فبلغ ذلك معاوية، فرجع، فإذا بالشيخ عمرو بن عبسة رضى الله عنه، وهذا الحديث رواه أبو داود الطيالسى [2] عن شعبة، وأخرجه أبو داود والترمذى والنسائى وابن حبان فى [3] صحيحه، من طرق عن شعبة به.

وقال الترمذى: حسن صحيح. وقال الإمام أحمد أيضًا: [4] حدثنا محمد بن عبد الله الزبيرى، حدثنا إسرائيل، عن عطاء بن السائب، عن أبى البخترى عن سلمان، يعنى الفارسى رضى الله عنه، أنه انتهى إلى حصن أو مدينة، فقال لأصحابه: دعونى أدعوهم كما رأيت رسول الله ﷺ يدعوهم، فقال: إنما كنت رجلا منكم، فهدانى الله عز وجل للإسلام، فإن أسلمتم فلكم ما لنا وعليكم ما علينا، وإن أبيتم فأدوا الجزية وأنتم صاغرون، وإن أبيتم نابذناكم على سواء، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ يفعل ذلك بهم ثلاثة أيام، فلما كان اليوم الرابع غدا الناس إليها ففتحوها بعون الله.

(١) صحيح: المسند (١٦٥٦٧).
(٢) أبو داود الطيالسي في مسنده (١/ ١٥٧)، برقم (١١٥٥).
(٣) صحيح: أبو داود (٢٧٥٩)، الترمذي (١٥٨٠)، والنسائي في الكبرى (٥/ ٢٢٣)، برقم (٨٧٣٢).
(٤) المسند (٢٣٢١٤)، وكذلك أخرجه الترمذي (١٥٤٨)، عن عطاء بن السائب قال الترمذي: وحديث سلمان حديث حسن، لا نعرفه إلا من حديث عطاء، وسمعت محمدًا يقول: أبو البختري لم يدرك سلمان.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۖ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ۖ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾

يقول تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ يا محمد ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟﴾ أى فاتونا، فلا نقدر عليهم بل هم تحت قهر قدرتنا، وفى قبضة مشيئتنا، فلا يعجزوننا، كما قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤] أى يظنون، وقال تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [النور: ٥٧] وقال تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٩٦-١٩٧] ثم أمر تعالى، بإعداد آلات الحرب لمقاتلتهم حسب الطاقة والإمكان والاستطاعة، فقال: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم﴾ أى مهما أمكنكم ﴿مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾.

قال الإمام أحمد: [(١)] حدثنا هارون بن معروف، حدثنا ابن وهب، أخبرنى عمرو بن الحارث، عن أبى على ثمامة بن شفى، أنه سمع عقبة بن عامر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ ألا إن القوة الرمى ألا إن القوة الرمي» رواه مسلم، [(٢)] عن هارون بن معروف، وأبو داود [(٣)] عن سعيد بن منصور، وابن ماجه [(٤)] عن يونس بن عبد الأعلى، ثلاثتهم عن عبد الله بن وهب به. ولهذا الحديث طرق أخر، عن عقبة بن عامر، منها: ما رواه الترمذى [(٥)] من حديث صالح بن كيسان، عن رجل عنه، وروى الإمام أحمد وأهل السنن [(٦)] عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ارموا واركبوا وأن ترموا خير من أن تركبوا».

وقال الإمام مالك [(٧)] **عن زيد بن أسلم**، عن أبى صالح السمان، عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الخيل لثلاثة، لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر، فأما الذى له أجر، فرجل ربطها فى سبيل الله فأطال لها فى مرج أو روضة، فما أصابت فى طيلها ذلك من المرج أو الروضة، كانت له حسنات ولو أنها قطعت طيلها، فاستنت شرفًا أو شرفين كانت آثارها وأرواثها حسنات له، ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يسقى به، كان ذلك حسنات له، فهى لذلك الرجل أجر، ورجل ربطها تغنيًا وتعففًا، ولم ينس حق الله فى رقابها ولا ظهورها فهى له ستر، ورجل ربطها فخرًا ورياء ونواء، فهى على ذلك وزر» وسئل رسول الله ﷺ عن الحمر، فقال «ما أنزل الله علىّ فيها شيئًا إلا هذه الآية الجامعة الفاذة ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧-٨] رواه البخارى [(٨)] وهذا لفظه، ومسلم [(٩)] كلاهما من حديث مالك، وقال الإمام

---

(١) صحيح: المسند (١٦٩٧٩).
(٢) مسلم (١٩١٧).
(٣) أبو داود (٢٥١٤).
(٤) ابن ماجه (٢٨١٣).
(٥) الترمذي (٣٠٨٣).
(٦) صحيح: المسند (١٦٨٧٠)، أبو داود (٢٥١٣)، الترمذي (١٦٣٧)، النسائي (٣٥٧٨)، وابن ماجه (٢٨١١).
(٧) مالك في موطئه (٩٧٥).
(٨) البخاري (٢٣٧١)، من طريق مالك بن أنس به.
(٩) مسلم (٩٨٧)، من طريق زيد بن أسلم مطولاً.

أحمد: [١] حدثنا حجاج، أخبرنا شريك، عن الركين بن ربيع، عن القاسم بن حسان، عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ، قال: «الخيل ثلاثة: ففرس للرحمن، وفرس للشيطان، وفرس للإنسان، فأما فرس الرحمن فالذي يربط في سبيل الله، فعلفه وروثه وبوله - وذكر ما شاء الله - وأما فرس الشيطان، فالذي يقامر أو يراهن عليه، وأما فرس الإنسان، فالفرس يرتبطها الإنسان يلتمس بطنها، فهي ستر من الفقر» وقد ذهب أكثر العلماء، إلى أن الرمي أفضل من ركوب الخيل، وذهب الإمام مالك، إلى أن الركوب أفضل من الرمي، وقول الجمهور أقوى للحديث، والله أعلم.

وقال الإمام أحمد: [٢] حدثنا حجاج وهشام، قالا: حدثنا ليث، حدثني يزيد بن أبي حبيب، عن ابن شماسة، أن معاوية بن حُديج، مر على أبي ذر وهو قائم عند فرس له، فسأله ما تعاني من فرسك هذا؟ فقال: إني أظن أن هذا الفرس قد استجيب له دعوته، قال: وما دعاء بهيمة من البهائم؟ قال: والذي نفسي بيده، ما من فرس إلا وهو يدعو كل سحر، فيقول: اللهم أنت خولتني عبدًا من عبادك، وجعلت رزقي بيده، فاجعلني أحب إليه من أهله وماله وولده. قال: وحدثنا [٣] يحيى بن سعيد، عن عبد الحميد بن جعفر، حدثني يزيد بن أبي حبيب عن سويد بن قيس، عن معاوية بن حُديج عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنه ليس من فرس عربي إلا يؤذن له مع كل فجر، يدعو بدعوتين: يقول: اللهم إنك خولتني من خولتني من بني آدم، فاجعلني من أحب أهله وماله إليه - أو - أحب أهله وماله إليه»، رواه النسائي، [٤] عن عمرو بن علي الفلاس، عن يحيى القطان به.

وقال أبو القاسم الطبراني: [٥] حدثنا الحسين بن إسحاق التستري، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا يحيى بن حمزة، حدثنا المطعم بن المقدام الصنعاني، عن الحسن بن أبي الحسن، أنه قال لابن الحنظلية يعني سهلًا: حدثنا حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وأهلها معانون عليها، ومن ربط فرسًا في سبيل الله، كانت النفقة عليه كالماد يده بالصدقة لا يقبضها»، والأحاديث الواردة في فضل ارتباط الخيل كثيرة. وفي صحيح البخاري، [٦] عن عروة بن أبي الجعد البارقي، أن رسول الله ﷺ، قال: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، الأجر والمغنم» وقوله: ﴿تُرْهِبُونَ﴾ أي تخوفون ﴿بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ أي من الكفار ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾ قال مجاهد يعني بني قريظة، وقال السدي: فارس، وقال سفيان الثوري: قال ابن يمان: هم الشياطين التي في الدور، وقد ورد حديث بمثل ذلك.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو عتبة أحمد بن الفرج الحمصي، حدثنا أبو حيوة يعني شريح بن يزيد المقرئ، حدثنا سعيد بن سنان، عن ابن عَرِيب، يعني يزيد بن عبد الله بن غريب، عن أبيه عن جده، أن رسول الله ﷺ كان يقول في قوله: ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ﴾ قال هم الجن، ورواه

---

(١) المسند (٣٦٤٧)، قال الهيثمي في المجمع (٥/ ٢٦١): رواه أحمد ورجاله ثقات، فإن كان القاسم بن حسان سمعه من ابن مسعود فالحديث صحيح.
(٢) أحمد في المسند (٢٠٩٣١).
(٣) صحيح: المسند (٢٠٩٨٦).
(٤) صحيح: النسائي برقم (٣٥٧٩).
(٥) صحيح: الطبراني في الكبير (٦/ ٩٨)، (٥٦٢٣).
(٦) البخاري (٢٨٥٠).

الطبرانى [١] عن إبراهيم بن دحيم، عن أبيه عن محمد بن شعيب عن سنان بن سعيد بن سنان، عن يزيد بن عبد الله بن عريب به، وزاد: قال رسول الله ﷺ: «لا يخبل بيت فيه عتيق من الخيل»، وهذا الحديث منكر لا يصح إسناده ولا متنه، وقال مقاتل بن حيان وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هم المنافقون، وهذا أشبه الأقوال، ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ﴾[التوبة: ١٠١].

وقوله ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ أى مهما أنفقتم فى الجهاد، فإنه يوفى إليكم على التمام والكمال، ولهذا جاء فى الحديث الذى رواه أبو داود: [٢] أن الدرهم يضاعف ثوابه فى سبيل الله إلى سبعمائة ضعف، كما تقدم فى قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١] وقال ابن أبى حاتم: [٣] حدثنا أحمد بن القاسم بن عطية، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الدشتكى، حدثنا أبى عن أبيه، حدثنا الأشعث بن إسحاق، عن جعفر عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس عن النبى ﷺ، أنه كان يأمر أن لا يتصدق إلا على أهل الإسلام، حتى نزلت ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ فأمر بالصدقة بعدها، على كل من سألك من كل دين، وهذا أيضًا غريب.

ربع الحزب ١٩

﴿۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾

يقول تعالى: إذا خفت من قوم خيانة، فانبذ إليهم عهدهم على سواء، فإن استمروا على حربك ومنابذتك، فقاتلهم ﴿وَإِن جَنَحُوا۟﴾ أى مالوا ﴿لِلسَّلْمِ﴾ أى المسالمة والمصالحة والمهادنة، ﴿فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ أى فمل إليها واقبل منهم ذلك، ولهذا لما طلب المشركون، عام الحديبية الصلح، ووضع الحرب بينهم وبين رسول الله ﷺ، تسع سنين، أجابهم إلى ذلك مع ما اشترطوا من الشروط الأخر. وقال عبد الله بن الإمام أحمد: [٤] حدثنا محمد بن أبى بكر المقدمى، حدثنا فضيل بن سليمان يعنى النميرى، حدثنا محمد بن أبى يحيى، عن إياس بن عمرو الأسلمى، عن على بن أبى طالب رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنه سيكون اختلاف أو أمر فإن استطعت أن يكون السلم فافعل».

وقال مجاهد: نزلت فى بنى قريظة، وهذا فيه نظر؛ لأن السياق كله فى وقعة بدر، وذكرها مكتنف لهذا كله، وقول ابن عباس ومجاهد وزيد بن أسلم وعطاء الخراسانى وعكرمة والحسن وقتادة: إن هذه الآية منسوخة بآية السيف فى براءة ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ الآية[التوبة: ٢٩]، وفيه نظر أيضًا، لأن آية براءة فيها الأمر بقتالهم إذا أمكن ذلك، فأما إن كان العدو كثيفًا فإنه يجوز

---

(١) ضعيف: الطبراني في الكبير (١٧/ ١٨٩)، برقم (٥٠٦)، قال الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٧): فيه مجاهيل

(٢) أبو داود (٢٤٩٨)، من حديث سهل بن معاذ عن أبيه ولفظه: «إن الصلاة والصيام والذكر تضاعف على النفقة في سبيل الله بسبع مائة ضعف».

(٣) ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ٩١١٤).

(٤) قال الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٣٤): رواه عبد الله ورجاله ثقات.

مهادنتهم، كما دلت عليه هذه الآية الكريمة، وكما فعل النبى ﷺ يوم الحديبية، فلا منافاة ولا نسخ ولا تخصيص، والله أعلم. وقوله ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أى صالحهم وتوكل على الله، فإن الله كافيك وناصرك ولو كانوا يريدون بالصلح خديعة، ليتقووا ويستعدوا ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ﴾ أى كافيك وحده، ثم ذكر نعمته عليه مما أيده به من المؤمنين المهاجرين والأنصار، فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ أى جمعها على الإيمان بك، وعلى طاعتك ومناصرتك وموازرتك، ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ أى لما كان بينهم من العداوة والبغضاء فإن الأنصار كانت بينهم حروب كثيرة فى الجاهلية، بين الأوس والخزرج، وأمور يلزم منها التسلسل فى الشر، حتى قطع الله ذلك بنور الإيمان، كما قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وفى الصحيحين: [(١)] أن رسول الله ﷺ لما خطب الأنصار، فى شأن غنائم حنين، قال لهم: «يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بى، وعالة فأغناكم الله بى، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي» كلما قال شيئًا قالوا الله ورسوله أمنّ، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أى عزيز الجناب، فلا يخيب رجاء من توكل عليه، حكيم فى أفعاله وأحكامه، وقال الحافظ أبو بكر البيهقى: [(٢)] أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنبأنا على بن بشر الصيرفى القزوينى فى منزلنا، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن الحسين القنديلى الاستراباذى، حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن النعمان الصفار، حدثنا ميمون بن الحكم، حدثنا بكر بن الشرود، عن محمد بن مسلم الطائفى، عن إبراهيم بن ميسرة عن طاوس، عن ابن عباس، قال: قرابة الرحم تقطع، ومنة النعمة تكفر، ولم ير مثل تقارب القلوب، يقول الله تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ وذلك موجود فى الشعر:

إذا مَنَّ ذو قربى إليك برحْمه ... فغشك واستغنى فليس بذى رحْمِ
ولكنَّ ذا القربى الذى إن دعوته ... أجاب ومن يرمى العدو الذى ترمى

قال: ومن ذلك قول القائل:

ولقد صحبتُ الناس ثم سبرتهمْ ... وبلوت ما وصلوا من الأسباب
فإذا القرابة لا تقرب قاطعًا ... وإذا المودة أقرب الأسباب

قال البيهقى: لا أدرى هذا موصولاً بكلام ابن عباس أو هو من قول من دونه من الرواة، وقال أبو إسحاق السبيعى عن أبى الأحوص عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، سمعته يقول: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ الآية، قال هم المتحابون فى الله. وفى رواية: نزلت فى المتحابين فى الله. رواه النسائى والحاكم فى مستدركه [(٣)] وقال: صحيح. وقال عبد الرزاق: أخبرنا

(١) البخاري (٤٣٣٠)، مسلم (١٠٦١). من حديث عبد الله بن زيد بن عاصم.
(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٤٩٥) برقم (٩٠٣٤).
(٣) النسائي في الكبرى (٦/ ٣٥٢) برقم (١١٢١٠)، الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٥٩)، برقم (٣٢٦٩).

معمر عن ابن طاوس عن أبيه، عن ابن عباس، قال: إن الرحم لتقطع، وإن النعمة لتكفر، وإن الله إذا قارب بين القلوب لم يزحزحها شيء، ثم قرأ ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ رواه الحاكم أيضًا [١].

وقال أبو عمرو الأوزاعي: حدثني عبدة بن أبي لبابة عن مجاهد، ولقيته فأخذ بيدي فقال: إذا التقى المتحابان في الله فأخذ أحدهما بيد صاحبه وضحك إليه، تحاتت خطاياهما كما يتحات ورق الشجر. قال عبدة: فقلت له: إن هذا ليسير، فقال: لا تقل ذلك فإن الله يقول ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ قال عبدة: فعرفت أنه أفقه مني [٢].

وقال ابن جرير: [٣] حدثنا أبو كريب، حدثنا ابن يمان، عن إبراهيم الخوزي عن الوليد بن أبي مغيث، عن مجاهد، قال: إذا التقى المسلمان فتصافحا غفر لهما، قال قلت لمجاهد: بمصافحة يغفر لهما؟ قال مجاهد: أما سمعته يقول: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ فقال الوليد لمجاهد: أنت أعلم مني، وكذا روى طلحة بن مصرف عن مجاهد، وقال ابن عون عن عمير بن إسحاق، قال: كنا نتحدث أن أول ما يرفع من الناس - أو قال عن الناس - الألفة، وقال الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني [٤] رحمه الله: حدثنا الحسين بن إسحاق التستري، حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري، حدثنا سالم بن غيلان، سمعت جعدًا أبا عثمان، حدثني أبو عثمان النهدي، عن سلمان الفارسي، أن رسول الله ﷺ قال: «إن المسلم إذا لقي أخاه المسلم فأخذ بيده، تحاتت عنهما ذنوبهما، كما تتحات الورق عن الشجرة اليابسة في يوم ريح عاصف، وإلا غفر لهما ذنوبهما ولو كانت مثل زبد البحار.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾

يحرض تعالى نبيه صلوات الله وسلامه عليه والمؤمنين على القتال ومناجزة الأعداء ومبارزة الأقران، ويخبرهم أنه حسبهم أي كافيهم وناصرهم ومؤيدهم على عدوهم، وإن كثرت أعدادهم وترادفت أمدادهم، ولو قل عدد المؤمنين. قال ابن أبي حاتم [٥]: حدثنا أحمد بن عثمان بن حكيم، حدثنا عبيد الله بن موسى، أنبأنا سفيان عن ابن شوذب عن الشعبي في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ قال حسبك الله، وحسب من شهد معك، قال: وروى عن عطاء الخراساني وعبد الرحمن بن زيد مثله، ولهذا قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾

(١) الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٣٠)، برقم (٣١٧٩).
(٢) ابن جرير في تفسيره (١٠/ ٣٦).
(٣) ابن جرير في تفسيره (١٠/ ٣٦).
(٤) صحيح: الطبراني (٦/ ٢٥٦)، برقم (٦١٥٠) قال المنذري في الترغيب (٣/ ٢٩١): رواه الطبراني بإسناد حسن.
(٥) ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ٩١٤٣).

أى حثهم وذمّر عليه، ولهذا كان رسول الله ﷺ يحرض على القتال، عند صفهم ومواجهة العدو، كما قال لأصحابه يوم بدر حين أقبل المشركون فى عَدَدَهم وعُدَدِهم: «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض» فقال عمير بن الحمام: عرضهاالسموات والأرض؟ فقال رسول الله ﷺ «نعم»، فقال: بخ بخ فقال: «ما يحملك على قولك بخ بخ؟» قال: رجاء أن أكون من أهلها، قال «فإنك من أهلها» فتقدم الرجل، فكسر جفن سيفه، وأخرج تمرات فجعل يأكل منهن، ثم ألقى بقيتهن من يده وقال: لئن أنا حييت حتى آكلهن إنها لحياة طويلة، ثم تقدم فقاتل حتى قتل رضى الله عنه [١].

وقد روى عن سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير، أن هذه الآية نزلت حين أسلم عمر بن الخطاب وكمل به الأربعون، وفى هذا نظر، لأن هذه الآية مدنية، وإسلام عمر كان بمكة بعد الهجرة إلى أرض الحبشة، وقبل الهجرة إلى المدينة، والله أعلم.

ثم قال تعالى مبشرًا للمؤمنين وآمرًا: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ كل واحد بعشرة، ثم نسخ هذا الأمر وبقيت البشارة.

قال عبد الله بن المبارك: حدثنا جرير بن حازم، حدثنى الزبير بن الخِرِّيت، عن عكرمة عن ابن عباس، قال: لما نزلت ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ﴾ شق ذلك على المسلمين، حتى فرض الله عليهم أن لا يفر واحد من عشرة، ثم جاء التخفيف، فقال: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ﴾ إلى قوله ﴿يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ﴾ قال خفف الله عنهم من العدة، ونقص من الصبر، بقدر ما خفف عنهم، وروى البخارى [٢] من حديث ابن المبارك نحوه.

وقال سعيد بن منصور: حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار، عن ابن عباس فى هذه الآية، قال: كتب عليهم أن لا يفر عشرون من مائتين، ثم خفف الله عنهم، فقال ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ فلا ينبغى لمائة أن يفروا من مائتين.

وروى البخارى [٣] عن على بن عبد الله عن سفيان به نحوه، وقال محمد بن إسحاق حدثنى ابن أبى نجيح، عن عطاء عن ابن عباس، قال: لما نزلت هذه الآية ثقلت على المسلمين، وأعظموا أن يقاتل عشرون مائتين، ومائة ألفًا، فخفف الله عنهم فنسخها بالآية الأخرى، فقال ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ الآية، فكانوا إذا كانوا على الشطر من عدولهم، لم ينبغ لهم أن يفروا من عدوهم، وإذا كانوا دون ذلك، لم يجب عليهم قتالهم، وجاز لهم أن يتحوزوا عنهم، وروى على بن أبى طلحة والعوفى عن ابن عباس نحو ذلك.

قال ابن أبى حاتم: وروى عن مجاهد وعطاء وعكرمة والحسن، وزيد بن أسلم وعطاء الخراسانى والضحاك نحو ذلك، وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه: من حديث المسيب بن شريك، عن ابن عون عن نافع، عن ابن عمر رضى الله عنهما، فى قوله ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ﴾ قال نزلت فينا أصحاب محمد ﷺ وروى الحاكم فى مستدركه [٤] من حديث أبى عمرو بن العلاء، عن نافع عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ قرأ ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ رفع ثم قال:

---

(١) مسلم (١٩٠١).
(٢) البخاري برقم (٤٦٥٣).
(٣) البخاري برقم (٤٦٥٢).
(٤) صحيح: الحاكم (٢/ ٢٦١)، برقم (٢٩٤١).

صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾﴾

قال الإمام أحمد: (١) حدثنا على بن عاصم، عن حميد، عن أنس رضى الله عنه، قال: استشار رسول الله ﷺ الناس فى الأسارى يوم بدر، فقال «إن الله قد أمكنكم منهم» فقام عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله اضرب أعناقهم فأعرض عنه النبى ﷺ، ثم عاد رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس إن الله قد أمكنكم منهم وإنما هم إخوانكم بالأمس» فقام عمر فقال: يا رسول الله اضرب أعناقهم، فأعرض عنه النبى ﷺ، ثم عاد النبى ﷺ فقال: للناس مثل ذلك، فقام أبو بكر الصديق رضى الله عنه، فقال: يا رسول الله نرى أن تعفو عنهم، وأن تقبل منهم الفداء، قال فذهب عن وجه رسول الله ﷺ ما كان فيه من الغم، فعفا عنهم وقبل منهم الفداء، قال وأنزل الله عز وجل ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ الآية. وقد سبق فى أول السورة حديث ابن عباس فى صحيح مسلم بنحو ذلك.

وقال الأعمش: عن عمرو بن مرة، عن أبى عبيدة، عن عبد الله قال: لما كان يوم بدر، قال رسول الله ﷺ: «ما تقولون فى هؤلاء الأسارى؟».

قال: فقال أبو بكر: يا رسول الله قومك وأهلك، استبقهم واستتبهم لعل الله أن يتوب عليهم، وقال عمر «يا رسول الله أخرجوك وكذبوك فقدمهم فاضرب أعناقهم، قال: وقال عبد الله بن رواحة: يا رسول الله أنت فى واد كثير الحطب، فأضرم الوادى عليهم نارًا، ثم ألقهم فيه، قال: فقال العباس: قطعت رحمك.

قال: فسكت رسول الله ﷺ فلم يرد عليهم شيئًا، ثم قام فدخل، فقال ناس: يأخذ بقول أبى بكر، وقال ناس: يأخذ بقول عمر، وقال ناس: يأخذ بقول عبد الله بن رواحة.

ثم خرج عليهم رسول الله ﷺ فقال: «إن الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن، وإن الله ليشدد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة، وإن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم عليه السلام، قال ﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [ابراهيم: ٣٦] وإن مثلك يا أبا بكر كمثل عيسى عليه السلام، قال ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨] وإن مثلك يا عمر، كمثل موسى عليه السلام، قال ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨] وإن مثلك يا عمر، كمثل نوح عليه السلام، قال ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦] أنتم عالة فلا ينفلتن أحد منهم إلا بفداء، أو ضربة عنق» قال ابن مسعود: قلت: يا رسول الله إلا سهيل بن بيضاء، فإنه يذكر الإسلام، فسكت رسول الله ﷺ فما رأيتنى فى يوم أخوف من أن تقع علىَّ حجارة من السماء منى فى ذلك اليوم، حتى قال رسول الله ﷺ: «إلا سهيل بن بيضاء» فأنزل الله عز وجل ﴿مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ﴾ إلى آخر الآية، رواه الإمام أحمد والترمذى من

(١) صحيح: المسند (١٣١٤٣).

حديث أبى معاوية عن الأعمش، والحاكم فى مستدركه، [١] وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه عن عبد الله بن عمر، وأبى هريرة رضى الله عنهما، عن النبى ﷺ نحوه.

وفى الباب عن أبى أيوب الأنصارى، وروى ابن مردويه أيضًا، واللفظ له والحاكم فى مستدركه، [٢] من حديث عبيد الله بن موسى، حدثنا إسرائيل عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد عن ابن عمر، قال: لما أسر الأسارى يوم بدر، أسر العباس فيمن أسر، أسره رجل من الأنصار، قال وقد أوعدته الأنصار أن يقتلوه، فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال رسول الله ﷺ «إنى لم أنم الليلة من أجل عمى العباس، وقد زعمت الأنصار أنهم قاتلوه» فقال له عمر أفآتهم؟ قال «نعم»، فأتى عمر الأنصار فقال لهم: أرسلوا العباس، فقالوا: لا والله لا نرسله، فقال لهم عمر: فإن كان لرسول الله ﷺ رضى؟ قالوا فإن كان لرسول الله ﷺ رضى فخذه، فأخذه عمر فلما صار فى يده، قال له: يا عباس أسلم فو الله لأن تسلم أحب إلى من أن يسلم الخطاب، وما ذاك إلا لما رأيت رسول الله ﷺ يعجبه إسلامك، قال فاستشار رسول الله ﷺ أبا بكر، فقال أبو بكر: عشيرتك فأرسلهم، فاستشار عمر فقال: اقتلهم، ففاداهم رسول الله ﷺ، فأنزل الله ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية، قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وقال سفيان الثورى عن هشام - هو ابن حسان - عن محمد بن سيرين، عن عبيدة، عن على رضى الله عنه، قال: جاء جبريل إلى النبى ﷺ يوم بدر، فقال: خير أصحابك فى الأسارى، إن شاءوا الفداء، وإن شاءوا القتل، على أن يقتل منهم مقبلاً مثلهم، قالوا: الفداء ويقتل منا، رواه الترمذى والنسائى وابن حبان فى صحيحه [٣] من حديث الثورى به، وهذا حديث غريب جدًا، وقال ابن عون عن عبيدة عن على، قال: قال رسول الله ﷺ فى أسارى يوم بدر: «إن شئتم قتلتموهم وإن شئتم فاديتموهم، واستمتعتم بالفداء واستشهد منكم بعدتهم» [٤] قال فكان آخر السبعين، ثابت بن قيس قتل يوم اليمامة رضى الله عنه، ومنهم من روى هذا الحديث عن عبيدة مرسلاً، [٥] فالله أعلم، وقال محمد بن إسحاق عن ابن أبى نجيح، عن عطاء عن ابن عباس: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. قال غنائم بدر قبل أن يحلها لهم، يقول: لولا أنى لا أعذب من عصانى، حتى أتقدم إليه لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم، وكذا روى ابن أبى نجيح: عن مجاهد، وقال الأعمش: سبق منه أن لا يعذب أحدًا شهد بدرًا، وروى نحوه عن سعد بن أبى وقاص، وسعيد بن جبير وعطاء، وقال شعبة عن أبى هاشم عن مجاهد ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ أى لهم بالمغفرة ونحوه،

---

(١) أحمد (٣٦٢٥)، والترمذي (١٧١٤)، (٣٠٨٤)، الحاكم (٣/ ٢٤)، برقم (٤٣٠٤).
قال الهيثمي في المجمع (٦/ ٨٧): فيه أبو عبيدة ولم يسمع من أبيه ولكن رجاله ثقات.
(٢) الحاكم (٢/ ٣٢٩).
(٣) صحيح: الترمذي (١٥٦٧)، النسائي في الكبرى (٨٦٦٢)، وابن حبان في صحيحه (١١/ ١١٨)، برقم (٤٧٩٥).
(٤) صحيح: رواه الحاكم في مستدركه (٢/ ١٥١) برقم (٢٦١٩).
(٥) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٤٦).

عن سفيان الثورى رحمه الله، وقال على بن أبى طلحة: عن ابن عباس فى قوله ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ يعنى فى أم الكتاب الأول، أن المغانم والأسارى حلال لكم ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ﴾ من الأسارى ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ قال الله تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ الآية. وكذا روى العوفى عن ابن عباس، وروى مثله عن أبى هريرة، وابن مسعود، وسعيد بن جبير، وعطاء والحسن البصرى، وقتادة والأعمش أيضًا، أن المراد ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ لهذه الأمة بإحلال الغنائم، وهو اختيار ابن جرير رحمه الله.

ويستشهد لهذا القول، بما أخرجاه فى الصحيحين [1] عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لى الأرض مسجدًا وطهورًا، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى، وأعطيت الشفاعة، وكان النبى يبعث إلى قومه، وبعثت إلى الناس عامة» وقال الأعمش عن أبى صالح، عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لم تحل الغنائم لسود الرؤوس غيرنا» [2] ولهذا قال تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾﴾، فعند ذلك أخذوا من الأسارى الفداء، وقد روى الإمام أبو داود فى سننه: [3] حدثنا عبد الرحمن بن المبارك العيشي، حدثنا سفيان بن حبيب، حدثنا شعبة عن أبى العنبس، عن أبى الشعثاء، عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ جعل فداء أهل الجاهلية يوم بدر أربعمائة.

وقد استمر الحكم فى الأسرى عند جمهور العلماء، أن الإمام مخير فيهم إن شاء قتل كما فعل ببنى قريظة، وإن شاء فادى بمال كما فعل بأسرى بدر، أو بمن أسر من المسلمين، كما فعل رسول الله ﷺ فى تلك الجارية وابنتها، اللتين كانتا فى سبى سلمة بن الأكوع، حيث ردهما وأخذ فى مقابلتهما من المسلمين الذين كانوا عند المشركين، وإن شاء استرق من أسر. هذا مذهب الإمام الشافعى وطائفة من العلماء، وفى المسألة خلاف آخر بين الأئمة، مقرر فى موضعه من كتب الفقه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾

قال محمد بن إسحاق: حدثنى العباس بن عبد الله بن مغفل عن بعض أهله عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال يوم بدر: «إنى قد عرفت أن أناسًا من بنى هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهًا لا حاجة لهم بقتالنا فمن لقى منكم أحدًا منهم - أى من بنى هاشم - فلا يقتله، ومن لقى أبا البخترى بن هشام فلا يقتله، ومن لقى العباس بن عبد المطلب فلا يقتله، فإنه إنما أخرج مستكرهًا» فقال أبو حذيفة بن عتبة أنقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وعشائرنا ونترك العباس؟ والله لئن لقيته لألجمنه

(١) البخاري برقم (٣٣٥)، مسلم برقم (٥٢١).
(٢) صحيح: الترمذي (٣٠٨٥)، أحمد في مسنده (٧٣٨٥).
(٣) صحيح: أبو داود (٢٦٩١).

بالسيف فبلغت رسول الله ﷺ فقال لعمر بن الخطاب «يا أبا حفص» - قال عمر والله إنه لأول يوم كناني فيه رسول الله ﷺ أبا حفص - «أيضرب وجه عم رسول الله ﷺ بالسيف؟» فقال عمر يا رسول الله ائذن لي فأضرب عنقه فو الله لقد نافق، فكان أبو حذيفة يقول بعد ذلك والله ما آمن من تلك الكلمة التي قلت ولا أزال منها خائفًا إلا أن يكفرها الله تعالى عني بشهادة، فقتل يوم اليمامة شهيدًا رضي الله عنه. وبه عن ابن عباس قال: لما أمسى رسول الله ﷺ يوم بدر، والأسارى محبوسون بالوثاق، بات رسول الله ﷺ ساهرًا أول الليل فقال له أصحابه يا رسول الله ما لك لا تنام؟ وقد أسر العباسَ رجلٌ من الأنصار فقال رسول الله ﷺ «سمعت أنين عمي العباس في وثاقه فأطلقوه» فسكت فنام رسول الله ﷺ. قال محمد بن إسحاق: وكان أكثر الأسارى يوم بدر فداء العباس بن عبد المطلب وذلك أنه كان رجلا موسرًا فافتدى نفسه بمائة أوقية ذهبًا.

وفي صحيح البخاري [1] من حديث موسى بن عقبة قال ابن شهاب حدثني أنس بن مالك أن رجالا من الأنصار استأذنوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله ائذن لنا فلنترك لابن أختنا عباس فداءه. قال «لا والله لا تذرون منه درهمًا».

وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان عن عروة وعن الزهري عن جماعة سماهم قالوا: بعثت قريش إلى رسول الله ﷺ في فداء أسراهم ففدى كل قوم أسيرهم بما رضوا، وقال العباس يا رسول الله قد كنت مسلما فقال رسول الله ﷺ: «الله أعلم بإسلامك فإن يكن كما تقول فإن الله يجزيك وأما ظاهرك فقد كان علينا فافتد نفسك وابني أخيك نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب، وحليفك عتبة بن عمرو أخي بني الحارث بن فهر»: قال ما ذاك عندي يا رسول الله قال: «فأين المال الذي دفنته أنت وأم الفضل؟ فقلت لها إن أصبت في سفري هذا، فهذا المال الذي دفنته لبني الفضل وعبد الله وقثم» قال: والله يا رسول الله إني لأعلم أنك رسول الله إن هذا لشيء ما علمه أحد غيري وغير أم الفضل فاحسب لي يا رسول الله ما أصبتم مني عشرين أوقية من مال كان معي، فقال رسول الله ﷺ «لا، ذاك شيء أعطانا الله تعالى منك» ففدى نفسه وابني أخويه وحليفه وأنزل الله عز وجل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠﴾ قال العباس فأعطاني الله مكان العشرين الأوقية في الإسلام عشرين عبدًا كلهم في يده مال يضرب به مع ما أرجو من مغفرة الله عز وجل، وقد روى ابن إسحاق أيضًا عن ابن أبي نجيح عن عطاء عن ابن عباس في هذه الآية بنحو مما تقدم.

وقال أبو جعفر بن جرير: [2] حدثنا ابن وكيع حدثنا ابن إدريس عن ابن إسحاق عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال: قال العباس: في نزلت ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ فأخبرت النبي ﷺ بإسلامي وسألته أن يحاسبني بالعشرين الأوقية التي أخذت مني فأبى، فأبدلني الله بها عشرين عبدًا كلهم تاجر مالي في يده، وقال ابن إسحاق أيضًا حدثني الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس عن جابر بن عبد الله بن رئاب قال كان العباس بن عبد المطلب يقول فيَّ نزلت

---

(١) البخاري برقم (٤٠٢٦).

(٢) ابن جرير في تفسيره (١٠/٤٩).

والله حين ذكرت لرسول الله ﷺ إسلامى ثم ذكر نحو الحديث كالذى قبله [١] .

وقال ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ﴾ عباس وأصحابه قال: قالوا للنبى ﷺ: آمنا بما جئت به ونشهد أنك رسول الله لننصحن لك على قومنا. فأنزل الله ﴿إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ﴾ إيمانًا وتصديقًا يخلف لكم خيرًا مما أخذ منكم ﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ﴾ الشرك الذى كنتم عليه قال فكان العباس يقول ما أحب أن هذه الآية لم تنزل فينا وأن لى الدنيا لقد قال ﴿يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ﴾ فقد أعطانى خيرًا مما أخذ منى مائة ضعف وقال ﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ﴾ وأرجو أن يكون غفر لى، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى هذه الآية كان العباس أسر يوم بدر فافتدى نفسه بأربعين أوقية من ذهب فقال العباس حين قرئت هذه الآية لقد أعطانا الله عز وجل خصلتين ما أحب أن لى بهما الدنيا: إنى أسرت يوم بدر ففديت نفسى بأربعين أوقية فآتانى أربعين عبدًا وإنى أرجو المغفرة التى وعدنا الله جل ثناؤه، وقال قتادة فى تفسير هذه الآية: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ لما قدم عليه مال البحرين ثمانون ألفًا وقد توضأ لصلاة الظهر فما أعطى يومئذ ساكتًا ولا حرم سائلا وما صلى يومئذ حتى فرقه، فأمر العباس أن يأخذ منه ويحتثى فأخذ، فكان العباس يقول: هذا خير مما أخذ منا وأرجو المغفرة وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا عمرو بن عاصم حدثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال بعث ابن الحضرمى إلى رسول الله ﷺ من البحرين ثمانين ألفًا ما أتاه مال أكثر منه لا قبل ولا بعد.

قال فنثرت على حصير ونودى بالصلاة. قال وجاء رسول الله ﷺ فمثل قائما على المال وجاء أهل المسجد فما كان يومئذ عدد ولا وزن ما كان إلا قبضًا وجاء العباس بن عبد المطلب يحثي فى خميصة عليه وذهب يقوم فلم يستطع قال فرفع رأسه إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ارفع على. قال فتبسم رسول الله ﷺ حتى خرج ضاحكه أو نابه وقال له: «أعد من المال طائفة وقم بما تطيق» قال ففعل وجعل العباس يقول وهو منطلق: أما إحدى اللتين وعدنا الله فقد أنجزنا، وما ندرى ما يصنع فى الأخرى [٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ . . .﴾ الآية ثم قال: هذا خير مما أخذ منا ولا أدرى ما يصنع الله فى الأخرى فما زال رسول الله ﷺ مائلا على ذلك المال حتى ما بقى منه درهم وما بعث إلى أهله بدرهم ثم أتى الصلاة فصلى.

(حديث آخر فى ذلك): قال الحافظ أبو بكر البيهقى [٣]: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنى أبو الطيب محمد بن محمد بن عبد الله الشعيري حدثنا محمد بن عصام حدثنا حفص بن عبد الله حدثنا إبراهيم بن طهمان عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال: أتى رسول الله ﷺ بمال من البحرين فقال «انثروه فى المسجد» قال وكان أكثر مال أتى به رسول الله ﷺ فخرج إلى الصلاة ولم يلتفت إليه فلما قضى الصلاة جاء فجلس إليه فما كان يرى أحدًا إلا أعطاه إذ جاء العباس فقال يا رسول الله أعطنى فإنى فاديت نفسى، وفاديت عقيلا فقال له رسول الله ﷺ «خذ» فحثا فى ثوبه ثم

---

(١) ابن جرير في تفسيره (١٠/ ٤٩).

(٢) صحيح: رواه الحاكم في مستدركه (٣/ ٣٧٢) برقم (٥٤٢٣)، من طريق سليمان بن المغيرة به.

(٣) صحيح: في السنن الكبرى (٦/ ٣٥٦)، برقم (١٢٨٠٧).

ذهب يُقلّه فلم يستطع، فقال: مُرْ بعضهم يرفعه إليَّ قال «لا» قال فارفعه أنت عليَّ، قال «لا» فنثر منه ثم احتمله على كاهله ثم انطلق فما زال رسول الله ﷺ يتبعه بصره حتى خفي عنه عجبًا من حرصه، فما قام رسول الله ﷺ وثَمّ منها درهم.

وقد رواه البخاري [1] في مواضع من صحيحه تعليقًا بصيغة الجزم يقول: وقال إبراهيم بن طهمان ويسوقه وفي بعض السياقات أتم من هذا.

وقوله: ﴿وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ﴾ أي: فيما أظهروا لك من الأقوال ﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ﴾ أي من قبل بدر بالكفر به ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ أي بالإسار يوم بدر ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي عليم بفعله حكيم فيه.

قال قتادة: نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح الكاتب حين ارتد ولحق بالمشركين، وقال ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس: نزلت في عباس وأصحابه حين قالوا: لننصحن لك على قومنا، وفسرها السدي على العموم وهو أشمل وأظهر، والله أعلم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ۚ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾﴾

ذكر تعالى أصناف المؤمنين وقسمهم إلى مهاجرين خرجوا من ديارهم وأموالهم وجاءوا لنصر الله ورسوله وإقامة دينه وبذلوا أموالهم وأنفسهم في ذلك، وإلى أنصار وهم المسلمون من أهل المدينة إذ ذاك آووا إخوانهم المهاجرين في منازلهم وواسوهم في أموالهم ونصروا الله ورسوله بالقتال معهم فهؤلاء بعضهم أولياء بعض أي كل منهم أحق بالآخر من كل أحد، ولهذا آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار كل اثنين أخوان فكانوا يتوارثون بذلك إرثًا مقدما على القرابة حتى نسخ الله تعالى ذلك بالمواريث، ثبت ذلك في صحيح البخاري [2] عن ابن عباس، ورواه العوفي وعلي بن أبي طلحة عنه، وقال به مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة وغيرهم: قال الإمام أحمد [3]: حدثنا وكيع عن شريك عن عاصم عن أبي وائل عن جرير هو ابن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المهاجرون والأنصار أولياء بعضهم لبعض، والطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف بعضهم أولياء بعض إلى يوم القيامة» تفرد به أحمد.

وقال الحافظ أبو يعلى: [4] حدثنا شيبان حدثنا عكرمة يعني ابن إبراهيم الأزدي حدثنا عاصم عن شقيق عن ابن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المهاجرون والأنصار، والطلقاء من قريش

---

(١) البخاري برقم (٤٢١)، (٣٠٤٩)، (٣١٦٥) معلقًا.

(٢) البخاري برقم (٦٧٤٧).

(٣) حسن: المسند (١٨٧٣٠).

قال الهيثمي في المجمع (١٠/ ١٥): رواه أحمد والطبراني بأسانيد، وأحد أسانيد الطبراني رجاله رجال الصحيح، وقد جوده.

(٤) أبو يعلى في مسنده (٨/ ٤٤٦)، برقم (٥٠٣٣)، قال الهيثمي في المجمع (١٠/ ١٥): رواه الطبراني وأبو يعلى والبزار وفيه عاصم بن بهدلة، وفيه خلاف وبقية رجال البزار رجال الصحيح.

والعتقاء من ثقيف بعضهم أولياء بعض فى الدنيا والآخرة» هكذا رواه فى مسند عبد الله بن مسعود.

وقد أثنى الله ورسوله على المهاجرين والأنصار، فى غير ما آية فى كتابه، فقال: ﴿وَالسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ الآية [التوبة: ١٠٠]، وقال ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ الآية [التوبة: ١١٧]، وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ الآيـــة [الحشر: ٨-٩] وأحسن ما قيل فى قوله ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟﴾ [الحشر: ٩] أى لا يحسدونهم على فضل ما أعطاهم الله على هجرتهم، فإن ظاهر الآيات تقديم المهاجرين على الأنصار، وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء لا يختلفون فى ذلك، ولهذا قال الإمام أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار فى مسنده [(١)]: حدثنا محمد بن معمر حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا حماد بن سلمة، عن على بن زيد، عن سعيد بن المسيب، عن حذيفة، قال: خيرنى رسول الله ﷺ بين الهجرة والنصرة، فاخترت الهجرة، ثم قال: لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم﴾ قرأ حمزة ولايتهم بالكسر، والباقون بالفتح، وهما واحد كالدَّلالة والدِّلالة ﴿مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟﴾ هذا هو الصنف الثالث من المؤمنين، وهم الذين آمنوا ولم يهاجروا، بل أقاموا فى بواديهم، فهؤلاء ليس لهم فى المغانم نصيب، ولا فى خمسها إلا ما حضروا فيه القتال.

كما قال أحمد: [(٢)] حدثنا وكيع، حدثنا سفيان، عن علقمة بن مرثد، عن سليمان بن بريدة، عن أبيه، عن بريدة بن الحصيب الأسلمى رضى الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث أميرًا على سرية أو جيش، أوصاه فى خاصة نفسه، بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا، وقال: «اغزوا باسم الله فى سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال - أو خلال - فأيتهن ما أجابوك إليها فاقبل منهم، وكف عنهم. ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم. ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأعلمهم إن فعلوا ذلك أن لهم ما للمهاجرين، وأن عليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا واختاروا دارهم، فأعلمهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجرى عليهم حكم الله الذى يجرى على المؤمنين، ولا يكون لهم فى الفىء والغنيمة نصيب، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا، فادعهم إلى إعطاء الجزية. فإن أجابوا فاقبل منهم وكف عنهم، فإن أبوا فاستعن بالله ثم قاتلهم» انفرد به مسلم، [(٣)] وعنده زيادات أخـــر، وقـــولـــه ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، يقول تعالى وإن استنصركم هؤلاء الأعراب، الذين لم يهاجروا فى قتال دينى على عدو لهم فانصروهم، فإنه واجب عليكم نصرهم، لأنهم إخوانكم فى الدين، إلا أن يستنصروكم على قوم من الكفار، ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ أى مهادنة إلى مدة، فلا تخفروا ذمتكم ولا تنقضوا أيمانكم مع

(١) البزار (٧/ ٣٣٧) برقم (٢٩٣٦).

(٢) صحيح: المسند (٢٢٤٦٩).

(٣) مسلم (١٧٣١)، من طريق وكيع عن سفيان به.

الذين عاهدتم، وهذا مروي عن ابن عباس رضى الله عنه.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾

لما ذكر تعالى أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض، قطع الموالاة بينهم وبين الكفار، كما قال الحاكم في مستدركه [١]: حدثنا محمد بن صالح بن هانىء، حدثنا أبو سعيد يحيى بن منصور الهروى، حدثنا محمد بن أبان، حدثنا محمد بن يزيد وسفيان بن حسين، عن الزهرى، عن على بن الحسين، عن عمرو بن عثمان، عن أسامة، عن النبى ﷺ قال «لا يتوارث أهل ملتين، ولا يرث مسلم كافرًا، ولا كافر مسلما - ثم قرأ - ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾» ثم قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

قلت: الحديث فى الصحيحين [٢] من رواية أسامة بن زيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم» وفى المسند والسنن، [٣] من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يتوارث أهل ملتين شتى».

وقال الترمذى: حسن صحيح وقال أبو جعفر بن جرير: [٤] حدثنا محمد، عن محمد بن ثور، عن معمر، عن الزهرى، أن رسول الله ﷺ أخذ على رجل دخل فى الإسلام، فقال: «تقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتحج البيت وتصوم رمضان، وإنك لا ترى نار مشرك إلا وأنت له حرب» وهذا مرسل من هذا الوجه.

وقد روى متصلا من وجه آخر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أنا برىء من كل مسلم بين ظهرانى المشركين» ثم قال: «لا يتراءى ناراهما» [٥].

وقال أبو داود فى آخر كتاب الجهاد: [٦] حدثنا محمد بن داود بن سفيان، أخبرنى يحيى بن حسان، أنبأنا سليمان بن موسى أبو داود، حدثنا جعفر بن سعد بن سمرة بن جندب حدثني خبيب بن سليمان عن أبيه سليمان بن سمرة عن سمرة بن جندب: أما بعد قال رسول الله ﷺ: «من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله» وذكر الحافظ أبو بكر بن مردويه من حديث حاتم بن إسماعيل عن عبد الله بن هرمز عن محمد وسعيد ابنى عبيد عن أبى حاتم المزنى قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد عريض» قالوا: يا رسول الله وإن كان فيه...؟ قال: «إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه» ثلاث مرات، أخرجه أبو داودوالترمذى [٧] من حديث حاتم بن إسماعيل به بنحوه، ثم روى من حديث عبد الحميد بن سليمان: عن ابن عجلان عن أبى وثيمة النصرى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) **صحيح**: الحاكم (٢/ ٢٦٢)، برقم (٢٩٤٤). (٢) البخاري برقم (٦٧٦٤)، مسلم (١٦١٤).
(٣) **صحيح**: المسند (٦٦٢٦)، أبو داود (٢٩١١)، النسائي في الكبرى (٤/ ٨٢)، برقم (٦٣٨٣)، وابن ماجه (٢٧٣١).
(٤) ابن جرير في تفسيره (١٠/ ٥٤).
(٥) **صحيح**: أبو داود (٢٦٤٥)، الترمذي (١٦٠٤)، من حديث جرير بن عبد الله به.
(٦) **حسن**: أبو داود (٢٧٨٧)، انظر: السلسلة الصحيحة رقم (٢٣٣٠).
(٧) **حسن**: أبو داود في مراسيله (١/ ١٩٢) برقم (٢٢٤)، والترمذي (١٠٨٥)، انظر إرواء الغليل رقم (١٨٦٨).

«إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد عريض» [(١)].

ومعنى قوله ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ أى إن لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين وإلا وقعت فتنة فى الناس وهو التباس الأمر واختلاط المؤمنين بالكافرين فيقع بين الناس فساد منتشر عريض طويل.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۖ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾﴾

لما ذكر تعالى حكم المؤمنين فى الدنيا عطف بذكر مالهم فى الآخرة، فأخبر عنهم بحقيقة الإيمان كما تقدم فى أول السورة وأنه سبحانه سيجازيهم بالمغفرة والصفح عن الذنوب إن كانت، وبالرزق الكريم وهو الحسن الكثير الطيب الشريف دائم مستمر أبدًا لا ينقطع ولا ينقضى ولا يسأم ولا يمل لحسنه وتنوعه.

ثم ذكر أن الأتباع لهم فى الدنيا على ما كانوا عليه من الإيمان والعمل الصالح فهم معهم فى الآخرة، كما قال ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٠] الآية وقال ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِن بَعْدِهِمْ﴾ الآية [الحشر: ١٠].

وفى الحديث المتفق [(٢)] عليه بل المتواتر من طرق صحيحة، عن رسول الله ﷺ أنه قال «المرء مع من أحب» وفى الحديث الآخر «من أحب قوما فهو منهم» وفى رواية «حشر معهم». وقال الإمام أحمد: [(٣)] حدثنا وكيع عن شريك عن عاصم عن أبى وائل عن جرير قال: قال رسول الله ﷺ: «المهاجرون والأنصار أولياء بعضهم لبعض، والطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف بعضهم أولياء بعض إلى يوم القيامة».

قال شريك: فحدثنا الأعمش عن تميم بن سلمة عن عبد الرحمن بن هلال عن جرير عن النبى ﷺ مثله، تفرد به أحمد من هذين الوجهين. وأما قوله تعالى: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ أى فى حكم الله وليس المراد بقوله: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ﴾ خصوصية ما يطلقه علماء الفرائض على القرابة الذين لا فرض لهم ولا هم عصبة، بل يدلون بوارث كالخالة والخال والعمة وأولاد البنات وأولاد الأخوات ونحوهم، كما قد يزعمه بعضهم ويحتج بالآية ويعتقد ذلك صريحًا فى المسألة بل الحق أن الآية عامة تشمل جميع القرابات، كما نص عليه ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن وقتادة وغير واحد على أنها ناسخة للإرث بالحلف والإخاء اللذين كانوا يتوارثون بهما أولاً، وعلى هذا فتشمل ذوى الأرحام بالاسم الخاص، ومن لم يورثهم يحتج بأدلة من أقواها حديث «إن الله قد أعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث» [(٤)].

قالوا: فلو كان له حق لكان ذا فرض فى كتاب الله مسمى، فلما لم يكن كذلك لم يكن وارثًا، والله أعلم.

آخر تفسير سورة الأنفال ولله الحمد والمنة وعليه التكلان وهو حسبنا ونعم الوكيل

---

(١) حسن: الترمذي (١٠٨٤).
(٢) البخاري برقم (٦١٦٨)، مسلم (٢٦٤١).
(٣) صحيح: المسند (١٨٧٣).
(٤) تقدم تخريجه.